الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الحنين والاغتراب في الشعر العربي المعاصر "النبي المجهول" لأبي القاسم الشابي أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي.

إعداد الطالبة:
* هدى نوري

إشراف الأستاذ:
* طارق زيناي

السنة الجامعية: 2014/2013م

دعـــــــاء

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت...

ولا أصاب باليأس إذا فشلت، بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح.

وإذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي...

وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي.

وإذا جردتني من النجاح أترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل...

وإذا جردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان.

اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب.

أمين يا رب العالمين.

إهـــــــداء

إلى من وهباني الحياة وصنعا العزيمة في نفسي، إلى من ربياني وعطفا عليا، ومنحاني أعظم منح

إلى والديا.

أعظم الناس في ناظريا

أعلاهما صيتا وعزيا

أثمن الجواهر في عينيا

إلى أعظم وأرق وأحن أم في الدنيا، إلى حبيبة دربي أمدي ثمرة جهدي، إلى من علمتني الصبر، ومنحتني نورا في أيامي، وتكبدت معي العناء في حقائي، إلى أعظم أم في الوجود، إلى سر بسمتي وضحكاتي.

إلى من علمني الصبر، إلى من رافقني رغم الحقاء منحني الخطوات في حياتي، إلى والدي العزيز أحب أب في الدنيا، إلى من تهوى أيامي بالضحكات، ورسم أحلامي بالبسمات، إلى أعظم أب في الدنيا.

كما أتوجه بجزيل شكري إلى من تتبعت خطواته وسرت على دربه، إلى أخي "حمزة"، إلى إخوتي "عادل" و"رابح".

إلى جدتي الغالية، وإلى كل عائلة نوري صغيرا وكبيرا، وإلى كل الأهل والأحباب.

إلى رفيقة دربي وسر سعادتي، إلى من أحبها أيامي إلى أختي حقيقتي ومن أنست معي، صديقتي "لكحل عليا"، وإلى الصديقة والزميلة "حنان" و"نورة" و"حكيمة" و"عبير" و"فتيحة" وإلى زملائي "رابح" و"جعفر" و"ناصر" وإهداء خاص إلى "نور الدين"، وإلى من يعرفني من قريب أو من بعيد.

إلى كل هؤلاء أهدي نجاحي.

شكر وتقدير وعرفان

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان، كما يشرفني أن أكون تحت لواء من كان عونًا في هذا الإنجاز المتواضع .

أوجه جزيل شكري إلى الأستاذ "زيناي طارق" الذي منحني من وقته وجهده الكثير ولم يبخل علي بنصائحه القيمة وتوجيهاته الثمينة.

كما يسعدني أن أتقدم أيضًا بشكري إلى جميع أساتذة معهد الآداب واللغات، على رأسهم الأستاذ "سليم بوعجاجة".

وأتوجه بالشكر والتقدير لجميع أعضاء المركز الجامعي "ميلة"، كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل من أمدني بيد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد، ولو بكلمة تشجيع.

ضربٌ كلمـــــــة تهـز النفـس خير من قصيدة تذكرنني النحس

مقدمـــــة

مقدمة:

تعد ظاهرة الحنين والاغتراب من القضايا التي شغلت نطاقًا واسعًا لدى الأدباء والمفكرين، فالحنين غريزة في النفوس سواءًا أكان عند الإنسان أم عند الحيوان، والحنين ظاهرة إنسانية عامة في نفوس البشر، وإن كان حب الأوطان عند العرب أكثر وضوحًا؛ لأن الشعر سجل هذه الظاهرة منذ القديم إلى عصرنا هذا، فلم يقتصر الحنين والشوق إلى الأوطان، بل تعدى ذلك لينتج عنه اغتراب أكثر منه حنينًا، فقد تناول الشعراء ظاهرة الحنين والاغتراب بكثير من الجمال والألم في الوقت نفسه، وعبروا عنها في أجود القصائد وأكثرها ألمًا واغترابًا وشوقًا وحنينًا، ولا نقصد بالاغتراب هنا، البعد عن الأوطان فحسب، بل إننا نتحدث هنا عن أكثر أنواع الغربة ألمًا، وهي أن يشعر الشاعر بالغياب وهو حاضر، فجسده حاضرة لكن فكره وروحه مسافرة دومًا، لا تلد بالبقاء في مكان معين، وقد استلهم العديد من الشعراء قصائدهم بالحديث عن شوقهم وحنينهم، فعبروا عن مكنوناتهم المكبوتة في ذواتهم، فأزهرت قصائدهم وانبعثت فيها الحياة، بعد تطفلهم على الطبيعة التي كانت الملاذ الوحيد للكثير من الشعراء، فالطبيعة مثلت إحدى مثيرات الحنين والغربة لدى الشعراء، فهي المكان الأوفر حظًا للشاعر، فتغنى الشعراء بالأرض والطبيعة، وعبروا عن حنينهم.

وهذا ما جعلني أتساءل عن مفهوم الحنين والاغتراب؟ وأهم المواضيع التي عالجها هذان المصطلحان؟ ومدى تجلي الاغتراب في قصيدة "النبي المجهول"؟ ومدلولات الاغتراب في القصيدة؟.

وكلها أسئلة حاولت الإجابة عنها، وقد كان لدراستي دافعان أساسيان، دافع موضوعي يتمثل في بروز الجانب الوجداني للشاعر، ومحاولة الكشف عن بعض الخصائص النوعية التي تميز بها شعره، ودافع ذاتي يكمن في السعي إلى الإضافة والإثراء لما تبين لنا أن الدراسات المتوفرة والمتواجدة حول هذه الإشكالية ضئيلة جدًا في الشعر المعاصر وخاصة الشعر التونسي، وكذلك رغبتي في التحدي والإصرار على مواجهة كل صعب مهما كان نوعه، وإيماني المتمثل في أن أي عمل لا بد أن يلقي الإهتمام الذي يليق به.

مقدمة:

ولم أكن أول من تطرق إلى مثل هذا الموضوع، فهناك بعض الدراسات السابقة على رأسها الحنين والغربة في الشعر الأندلسي في عصر سيادة غرناطة رسالة ماجستير لمها إبراهيم الخليلي.

وقد اعتمدت على مجموعة من الكتب في مقدمتها كتاب الحنين والغربة في الشعر العربي ليحي الجبوري، وكتاب الاغتراب في الشعر الرومانسي محمد الهادي بوطارن.

إن اهتمامي بموضوع الحنين والاغتراب دفعني إلى استعمال المنهج النفسي والاجتماعي، والذي يبحث عن ماهية الحنين والاغتراب.

وقد فرضت علي مادة البحث وطبيعتها ضرورة تقسيمه إلى مقدمة وفصول متفاوتين فيما بينهما وخاتمة اتبعناها بملحق يتحدث عن "أبي القاسم الشابي"، وبعدها قائمة من المصادر والمراجع.

فكان الفصل الأول بمثابة فصل نظري تناولت من خلاله مفهوم الحنين والاغتراب في كل من الجانبين اللغوي والاصطلاحي، وأهم المواضيع التي تطرق لهما هذين المصطلحين، وكيف تجليا في الشعر العربي القديم والحديث.

أما الفصل الثاني فقد قمت فيه بتشريح الموضوع، حيث تناولت قصيدة "النبي المجهول"، وقمت بدارسة تحليلية عن تجليات الاغتراب عن الذات في القصيدة، ومثلتها في المبحث الأول، والذي تناولت فيه أهم مظاهر اغتراب الشاعر عن الذات والأخر، أي عن "الأنا" داخل القصيدة والأخر في الوسط الذي ينتمي إليه، ومبحث ثاني جاء بعنوان المعجم الشعري والدلالي في قصيدة "النبي المجهول"، عالجت من خلاله أهم الحقول الدلالية التي خصصها الشاعر، ثم أنهيت بحثي هذا بخاتمة حاولت من خلالها تمثيل النتائج المتحصل عليها في تحليلي للقصيدة، يليها ملحق عن حياة الشاعر التونسي "أبي القاسم الشابي".

مقدمة:

وأعترف بصعوبة المهمة في إنجاز هذا البحث، لأن ظاهرة الاغتراب والحنين يصعب ضبطهما، وخاصة الاغتراب الذي يستدعي قدرة عميقة على تحديد الشعر الاغترابي من عدمه.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أشكر الله عز وجل وأحمده على ما منحنى لإنجاز هذا العمل المتواضع، وأتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الذي قبل الإشراف علي، ولم يبخل بالتوجيهات والنصائح، كذا حسن معاملته لي.

وبعد، فإن دراستي هذه حاولت جهدها في بلوغ الهدف، فإن تحقق ذلك الفضل لله، وإن قصر فحسبي أني حاولت وأملت واجتهدت، وما الكمال إلا لله عليه توكلت وإليه المصير.

الفصل الأول

أولاً: مفهوم الحنين والاغتراب

1) مفهوم الحنين:

1-1) الحنين لغة:

حنَّ، يحنُّ، حنانًا: قال أبو إسحاق في قوله تعالى: ﴿ وأتيناه الحكم صبيًا وحنانًا من لدُنَّا﴾، أي وأتيناه حنانًا: قال الحنانُ العطف والرحمة، وأنشد سبيويه:

فقالت: حنانٌ ما أتي بك ههنا أذو نسب أنت بالحي عارف؟[1]

والحنين: الشديد من البكاء والطرب وقيل: هو صوت الطرب، كان ذلك على حزن أو فرح، والحنين: الشوق وتوقان النفس والمعنيان متقاربان، حنَّ إليه يحنُّ حنينًا فهو حانٌ، والاستحنان، الاستطراب، واستحنَّ، استطرب، وحنَّت الإبل، نزعت إلى أوطانها أو أولادها، والناقة تحنّ في إثر ولدها حنينًا تطرب من صوت، وقيل حنينها، نزاعها بصوت، وبغير صوت، والأكثر أن الحنين بالصوت[2].

يقال حنَّ قلبي إليه فهذا نزاع واشتياق من غير صوت، وحنَّت الناقة إلى ألاّفها. فهو ذا صوت من نزاع، وكذلك حنت إلى ولدها. قال الشاعر:

يعارضن ملواحًا كأنّ حنينا قبيل إنفتاق الصبح، ترجيع زامر[3]

ويقال حنَّ قلبي إليه أي نزع إليه[4].

وتقول العرب: حنانك يا رب وحنانيك، بمعنى واحد: أي رحمتك، وقالوا: سبحان الله وحنانيه، أي واسترحامه، كما قالوا: سبحان الله ورتحانه أي استرزاقه[5].

(1) ابن منظور: لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي، ج3، دار إديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص346.
(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(4)المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(5) المرجع نفسه، 347.

والحنان: الرحمة، والحنان: الرزق، والحنان: البركة، والحنان: الهيبة، والحنان: الوقار[1].

والحنين في اللغة أيضًا: « الشوق، والمعنيان متقاربان. قال "الجوهري" والمستحن الذي استحنه الشوق إلى وطنه» ويقال: (حنّ إليه، يحنُّ) فهو حانٌّ ومن معانيه: العطف والرحمة»[2]، قال تعالى: ﴿ وحنانًا من لدُنا﴾[3]. أي رحمة، ويقال للأم البرة (حانية)، وقد حنت على ولدها تمنو... وتحننت عليه... أي رقت عليه ورحمته، وفي المثل: حرّك لها حُوَارها تحنُّ ومعناه: ذكرّه بعض أشجانه يهج له[4].

وبهذا فقد تعددت معاني الحنين بين شدة الشوق للذكريات الماضية، والأوطان والأحبة، ومواطن العيش، والتي فاضت بعواطف جياشة مثلها الشعراء في قصائدهم وخاصة شعراء الجاهلية الذين اشتهروا بالمعلقات والتي كانت تستهل وتفتح بالمقدمات الحنينية.

1-2) الحنين اصطلاحًا:

الحنين مصطلح أدبي طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن مواطنهم، فاعتراهم الشوق إليه فكانوا يتغنون به، وبجماله وهم يعبرون عنه، ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه، إلاّ إذا كان في غربة نفسية.

والحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية، وفي البدوية خاصة، وهو منسجم مع طبيعة العربي الحساسة في بيئته الصحراوية الواسعة، ولم يقتصر الحنين على البشر بل شمل الحيوان، فالإبل تحن إلى أولادها ومرابطها، ولذلك كان الحنين غريزة في نفس العربي في باديته، وارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة

(1) ابن منظور: مرجع سبق ذكره، ص347.

(2) محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي القرن السابع ه، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008، ص25.

(3) سورة مريم: الآية/13.

(4) محمد أحمد دقالي: مرجع سبق ذكره، ص25.

عن الوطن همًا شديدًا، ويروى أنه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان وقيل: فما الذل؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان[1].

لقد اقتصر المصطلح السابق على الشوق والنزوع إلى الوطن المفتقد والوقوف على المعتقدات الأخرى مثل: الأهل، الأحبة والأصدقاء والذكريات الماضية، حيث يعد الحنين إلى الأوطان، الشوق إليه وإلى قاطنيه من الأهل والأقارب والأحبة والأصدقاء، إلاّ أنّ بعض الباحثين، ربط بين مفهوم الحنين والفقد للأشياء جميعها وليس للوطن وحده، فمفهوم الحنين يرتبط بالفقد ويعبر عن شغف المرء بالمفتقد إليه وشوقه إليه، أيًا كان نوعه[2].

2) مفهوم الإغتراب:

لقد تعددت المفاهيم حول كلمة "الإغتراب" في اللغة العربية وفي اللغات الأجنبية، وتعددت معانيها واشتقاقات مصادرها والتي تعود بنا إلى الجذور والأصول الأولى لهذا المصطلح.

2-1) الاغتراب لغة:

جاء في "معجم العين" الغَرْب: التمادي، وهو اللجاجة في الشيء، واستغرب الرجل أي لجَّ في ضحكه، والغرْب: أيضًا الدمع، أو علة تصيب العين، والغَرَب، ما يقطر من الدلاء عند البئر من الماء فيتغير سريعًا ريحه، والغُروب، والغَروب: الماء تجري على الإنسان، أو هو طرفها أو حدُّها، والغَرْب، والمغرب، والغروب: غيبوبة الشمس، أي أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء، والغربة: الإغتراب عن الوطن، وغَرَب فلان، يَغْرُب غربًا أي تنحى[3].

(1) يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي "الحنين إلى الأوطان، عميد البحث العلمي، جامعة الأهلية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008، ص09.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) نسرين محمود الشرادقة: الاغتراب في شعر أمجد ناصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص21.

غَرَّب القوم، ذهبوا في الغربِ، وأغربوا: أتوا الغرب، وتغَّرب: أتى من قبل الغرب. والغَرْبِيُّ من الشجر: ما أصابته الشمس نحرَّها عند أفولها، وفي التنزيل العزيز ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾[1].

والغَرْبُ: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرَبَ عنا يغربُ غربًا، وغرَّب وأغْرَبَ، وغرَّبه، وأغربه: نحَّاه[2].

واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث (اغتربوا لا تضووا) أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة، فيجيء ولدُه ضاويًا.

والاغتراب: افتعال من الغربة، أراد: تزوَّجوا إلى الغرائب من النساء غير الأقارب، فإنّه أنجب للأولاد، ومنه حديث المغيرة: ولا غربية نجيبة، أي أنها مع كونها غريبة فإنها غير نجيبة الأولاد[3].

والاغترابُ والتغَرَب كذلك: تقول منه: تغرَّب، وأغترب، وقد غرَّبه الدهر، ورجل غُرُب، بضم العين والراء، وغريبٌ: بعيد عن وطنه، الجمع غرباء، والأنثى غريبة. قال الشاعر:

إذا كوكب الخرقاء لاح سُجرة سهيلٌ، أداعت غزلها في الغرائب[4]

فهو التغريب النفي عن البلد، وغرَبَ أي بعد، ويقال أغْرَب عني أي تباعَدْ، ومنه الحديث: أنه أمر تغريب الزاني، التغريب النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه، يقال أغربته وغرَّبته إذا نحيته وأبعدته وغرّبت الكلاب: أمنعت في طلب الصيد، وغربَّة وغرَّب عليه: تركه بعيدًا، والغربة والغُرْب: النزوح عن الوطن والاغتراب، قال المتَلمَّسُ:

ألا أبلغـــا أفنـــاء سعد بن مـــــالك رسالة من قد صار، في الغُرْبِ، جانِبُهُ[5]

(1) سورة النور: الآية/35.

(2) ابن منظور: مرجع سبق ذكره، ص28.

(3) المصدر نفسه، ص29.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فالغربة: النوى والبعد والتنحي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان. وغرَّب في الأرض وأغرب: إذا أمعن في البعد، وأغرب صار غريبًا. وكثيرًا ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أو جوع، أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الإنسجام مع المجتمع والعجز عن الانتماء وعدم الرضى بالتقاليد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، وكثيرًا ما يشعر المغترب بالوحدة والغربة والفراغ النفسي، وكذلك شعوره بافتقاد الأمن وسوء العلاقات الاجتماعية وافتقاد الطمأنينة[1].

أما كلمة alienation الإنجليزية، التي تناسب المعنى الاصطلاحي لكلمة الاغتراب في عنوان هذا البحث، فمن معانيها تحويل ملكية إلى شخص أخر، أو تنفير أو إبعاد، أو اختلال عقلي، أو عزلة أو انسلاخ واسلاب، وهي تعود في أصلها إلى الكلمة اللاتينية alienatio بالمعنى نفسه، وفعلها اللاتيني alienare مأخوذ من كلمة alienous بمعنى الانتماء إلى الأخر، وهي مشتقة من كلمة alius بمعنى الأخر، أما في الألمانية فإنّ كلمة entfremdung هي الكلمة الدالة على الاغتراب، وقد استخدمها "هيجل" بهذا المعنى[2].

والاغتراب مصطلح معاصر لم يتحدد مدلوله بدقة، فقد استعمله بعضهم في مقابل المصطلح الأجنبي Exotisnne بمعنى النزعة إلى البحث عن كل ما هو غريب، أو غير مألوف من المشاعر، والمشاهد، والعادات والتقاليد، للتعبير عنها في آثار أدبية وفنية كما فعل ابن بطوطة في رحلته المشهورة[3].

إن مقابل كلمة الغربة والاغتراب في اللغة الانجليزية (Alienation) والفرنسية (Alienation)، وأصلها من الكلمة اللاتينية ألياناثو (Alienation)، ويشير الاغتراب في تلك اللغات إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته، وقد استخدمت كلمة

(1) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص17.

(2) نسرين محمود الشرادقة: مرجع سبق ذكره ، ص22.

(3) محمد بوزواوي: قاموس المصطلحات، مؤسسة الإخوة مدني، 2013، ص33ـ 34.

الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ سواء عن الذات أو عن الآخرين[1].

واستعمله بعضهم في مقابل المصطلح الأجنبي Alienation، أي بمعنى الاغتراب عن الذات، أو فقدان الجوهر الإنساني والانسحاق تحت وطأة إيديولوجيا مناقضة لواقع فرد، أو جماعة ما، ومتعارضة مع المصلحة الحقيقية لذلك الفرد، أو تلك الجماعة، والاغتراب هنا بمعنى الاستيلاب وفقدان الجوهر والعبودية لإيديولوجيا مناقضة مقولة أساسية، في جدلية الفيلسوف الألماني هيجل ت1831م وكذلك في فلسفة كارل ماركس ت1983م[2].

أ) الاغتراب في المعاجم العربية:

يستخدم المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة لفظة استلاب في مقابل اللفظة الأجنبية "aliénation"، يحدد مفهومها في ثلاثة معانٍ هي: انتقاص من الحقوق الشخصية وهي حالة من الاستعباد، وهي اضطراب النفس وهبة ونقل ملكية.

ومن المعاجم العربية الحديثة التي أشارت إلى الاغتراب بمصطلح جديد هو "ارتهان" في مقابل اللفظة الأجنبية aliénation" نجد المعجم الأدبي الذي يجعلها من الناحية اللغوية تعنى التقيد بأمر تقيدًا شديد الانفكاك عنه، أما فكريا فهي حالة شخص يصبح بفعل ظروف خارجية أو اقتصادية أو دينية أو سياسية عبدًا للأشياء، ويعامل هو نفسه كشيء منها، ولعل المصطلح الأنسب لهذا الفهم للاغتراب هو التشيؤ[3].

ب) الاغتراب في المعاجم الأجنبية

والمتتبع لمصطلح الاغتراب في المعاجم الأجنبية يجدها تكرس الحقول الفلسفية والقانونية، كمجلات تولد عنها هذا المصطلح ففي الموسوعة الفرنسية Quillet، نجد أن

(1) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص16.

(2) محمد بوزواوي: مرجع سبق ذكره، ص34.

(3) محمد الهادي بوطارن: الاغتراب في الشعر الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010، ص22.

مصطلح الاغتراب يعنى في أصله اللاتيني أخذ ملكية الغير، ويتطابق معناه أيضًا مع أخذ حقوق الأخر، فقد دلّ هذا المصطلح على مفاهيم في حق الملكية من عدمها[1].

أما في مجال الفلسفة، فقد ارتبط المصطلح بمرجعيات فلسفية لدى كل من "هيغل" و"فيورياخ" و"ماركس".

أما في معجم "أكسفورد" Oxford، فإنّ الاغتراب لا يخرج كثيرًا عن دلالات المعاجم السابقة، فهو يكرس: البعد، والغربة، والرفض، والعداء، وتحويل الملكية، ويركز المعجم في المفهوم الاصطلاحي، على العوامل الخارجية والسياسية والاجتماعية، التي تفضى إلى أبعاد الشخص من مجتمعه[2].

إنّ تعدد معاني المصطلح في المعاجم الأجنبية أو المعاجم العربية دليل قاطع على مدى ارتباط الثقافة العربية والغربية، وخاصة فيما يخص بعض المعاني كالاغتراب الذي لا تختلف معانيه في الثقافتين بصورة كبيرة.

2-2) الاغتراب اصطلاحا:

لقد اتخذ مصطلح الاغتراب معاني كثيرة ولم تقتصر على المفهوم اللغوي وحسب، بل تعدت ذلك، فقد نال حضًا وفيرًا واهتمامًا واسعًا من قبل العلماء العرب والعلماء الغرب، لأن هذا المصطلح قد طغى على الثقافتين العربية والغربية ولم تمتد على مجال واحد، وإنما شمل عدة صور كلها تصب في نهر واحد، وهو فكرة الانفصال وإما أن يكون هذا الانفصال جسديًا أو فكريًا مريرًا، « يكمن استجلاء معاني مصطلح الاغتراب ودلالاته المتعددة من تتبع حضوره في الثقافات المختلفة وسياقاتها المعرفية التي تكسب دلالاته ومعانيه، وقد درس الاغتراب بشكل عام في سياقات القانون، والدين، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، وعلم النفس وغيرها»[3].

(1) المرجع نفسه، ص25.

(2) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص25.

(3) نسرين محمود الشرادقة: مرجع سبق ذكره، ص23.

« وصور الاغتراب كثيرة منها: الاغتراب عن الوطن، ومنها الاغتراب داخل الوطن، ومنها الاغتراب عن المجتمع، أو الاغتراب عن الذات، وكل هذه الأنواع مريرة وقاسية ويشعر صاحبها بالألم والوحشة والمرارة، ولعل أقسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن؛ بسبب الظلم والاضطهاد والخوف أو الفقر والحرمان. ومن أقوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الفقر في الوطن غربة، والغني في الغربة وطن»[1].

« حضر مصطلح الاغتراب في الفكر العربي القديم، وكان ذا بعدين: روحي أو ديني، وبعد نفسي اجتماعي؛ أما البعد الروحي أو الديني فكان يعنى به الانفصال عن الله بالمعصية والخطيئة، واستمد هذا المعنى من قصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنة بارتكابه وحواء المعصية، وجاءت هذه الفكرة لأول مرة على يد الفيلسوف العربي الصوفي "ابن عربي" الذي اعتبر هذه القصة أول غربة اغتربها الإنسان في تاريخه، وهو الأمر الذي انبنى عليه حكم بعض الدارسين المعاصرين للاغتراب»[2].

3) مفهوم الاغتراب عند بعض الفلاسفة:

لقد اتخذ مفهوم الاغتراب أشكالاً متعددةً ومختلفةً لدى الفلاسفة بصفة خاصة نذكر منهم على سبيل المثال: "جان جاك روسو"، و"شلنج"، و"توماس هوبز"، و"فخته "، و"شيلر"، و"هيغل"، و"كارل ماركس"، و"ديكارت"، و"دوركايم"، و"إريك فروم"، و"فيورباخ فراح"، كلٌ منهم يعطي مفهومًا خاصًا للاغتراب كلٌ حسب وجهة نظره الخاصة.

أ) الاغتراب عند "جان جاك روسو: (1712- 1778)

« الاغتراب عملية تخلي الفرد عن حقوقه، وأحيانًا عن ذاته لصالح الكل في المجتمع، بحيث تنتهي مع ذلك خصوصيته وفرديته، ويصبح كل منهما غريبًا عن الأخر، وهي عملية ضرورية لكي يندمج من خلالها الفرد في مجتمعه، ويصبح جزءًا لا

(1) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص17.

(2) نسرين محمود الشرادقة: مرجع سبق ذكره، ص23.

يتجزء منه، فيكتمل العقد الاجتماعي الذي سيعوضه أضعاف ما خسره بتخليه عن خصوصية، وتسليمه ذاته للجماعة»[1].

ب) الاغتراب عند هيغل: (1770- 1831)

« يعد الفيلسوف الألماني "هيغل" أحد رواد هذا الموضوع، وقد عد أول من استخدم هذا المفهوم استخدامًا نسقيًا، وذلك قبل الاستخدامات المعاصرة التي تولى الفهم النسقي مزيدًا من اهتماماتها»[2].

« وقد استخدم مصطلح الاغتراب، بصورة مزدوجة، فهو في بعض معالجاته يستعمله في سياق الانفصال "Séparation"، وفي مواقع أخرى من بحوثه يعطيه معنى التخلي أو التنازل، وبتحليل أعماله المتعلقة بمفهوم الاغتراب يتبين أن استخدامه للمفهوم ذو طابع مزدوج كذلك»[3].

فالاغتراب عنده هو: « أن يضع الإنسان شخصيته الأولى ويصير إنسانًا أخر أغنى من الأول، فالإنسان يضيع نفسه عندما يصبح غريبًا عنها، أي عندما يفقد حريته ويصبح مصهورًا في مجتمع لا يعترف له بأي استقلال ذاتي»[4]، وكأن الإنسان مكلف بمهمة صعبة تكمن في البحث عن شيء قد ضاع منه، والمتمثل في ذاته ليقع ضحية الاغتراب الذاتي.

ج) الاغتراب عند "كارل ماركس": (1818- 1883)

« لقد أشار "ماركس" إلى عدد من الاغترابات التي تحدث وفق هذا المفهوم، ومن أهمها: اغتراب الناتج، اغتراب العمل، والاغتراب عن الآخرين، واغتراب الذات، بما

(1) المرجع نفسه، ص19.

(2) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص30.

(3) المرجع نفسه، ص31.

(4) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج1، 1982، ص765.

يعنيه من انفصال شيء ما له أهمية بالنسبة الفرد عنه، والتنافر بين وضعه الفعلي ووظيفته الجوهرية»[1].

لقد استعار "ماركس" مفهوم الاغتراب لصالح فلسفته من النزعة الرومانسية الألمانية، ليعنى به « انفصال الإنسان عن بيئته الطبيعية التي يعد جزءًا منها، فلا تصبح علاقته بها مباشرة وودية»[2]، وذلك بإعطائه موقعًا جديدًا ضمن أفق العلاقات الاجتماعية للعمل والإنتاج، وقد رأى أنّ تقسيم العمل، هو التغيير الاقتصادي للصيغة الاجتماعية للعمل في إطار الاغتراب[3].

د) الاغتراب عند "فيورباخ":

« إنّ الكشف عن الاغتراب في رأى "فيورباخ" لا يتم إلا من خلال فلسفة الدين، فالاغتراب أساسًا هو الاغتراب الديني، والاغتراب الديني هو أساس كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي نفسي أو بدني، فإذا كان الاغتراب هو انقلاب "الأنا" إلى أخر، فإن هذا الانقلاب يحدث أساسًا في تحول الإنسان إلى الله قبل أن يتحول الإنسان إلى عمل أو إلى نظام أو إلى مؤسسة أو إلى كون»[4].

إن الاغتراب من وجهة نظر "فيورباخ" يقتصر على فلسفة الدين التي من خلالها ـ بحسب رأيه ـ يمكننا أن نكتشف الاغتراب في حد ذاته.

ه) الاغتراب عند "ديكارت":

عاش "ديكارت" حياة اغترابية بكل المقاييس، حيث ثار على فلسفة العصر الوسيط وعلى الحضارة الإقطاعية، وبذلك فتح للثورة البرجوازية فتحًا حداثيًا، فهو يرى أن

(1) نسرين محمود الشرادقة: مرجع سبق ذكره، ص25.

(2) خالد حامد: المدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص79.

(3) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص38.

(4) المرجع نفسه، ص40.

الاغتراب كان يمثل في اعتقاد الإيمان في ثوب الإقطاعية، وكان عليه أن يحرر العقل، وكانت فلسفة الشك عتبة الاجتهاد والتحرر[1].

ز) الاغتراب عند "دركايم" و"جون جاك روسو":

الاغتراب هو تلاشي المعايير والقيم، وبخصوص المفهوم عند "روسو": فيعود إلى ذوبان الفرد في ظل الجماعة، حيث يفتقد السيادة الفردانية[2].

ح) الاغتراب عند "فرويد:

لقد صور "فرويد" الإنسان في ظل الحضارة الأوروبية كائنًا مكبوتًا مشوهًا قلقًا مدفوعًا بدوافع لا يعي كنهها، موزعًا في صلب داخله، مطاردًا بالشعور بالذنب، متنكرًا لرغباته الطبيعية، مصابًا بالتوهم، منشغلاً بصحته النفسية... إلخ، وفي تحليله هذه التوجهات والهموم ينطلق "فرويد" في مقولة تشدد على وجود تصادم بين رغبات الإنسان ومتطلبات الحضارة، وبالتالي بينه وبين المجتمع والثقافة السائدة[3].

إنّ الاغتراب كمفهوم وكمصطلح قد نال اهتمامًا كبيرًا وواسعًا لد الفلاسفة على اختلاف ضروبهم وأرائهم، فقد يكون مرتبطًا بفلسفة معينة أو بعصر محدد أو ثقافة معينة، ولذلك فقد كان الاهتمام به كبيرًا.

ط) الاغتراب عند "إريك فروم":

يقر "إريك" في مؤلفه المجتمع السوي The same society بأن الاغتراب نوع من الخبرة، وكأنه نوعية من التجارب التي يساير فيها المرء ذاته، فتصبح غريبة عنه فيشعر بأنه " عاجز عن التحكم في أفعاله وينساق وراءها»[4]، ليحس بالانفعال عن

(1) المرجع نفسه، ص420. 421.

(2) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص421.

(3) حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية "متاهات الإنسان بين الحلم والواقع"، ط1، (د.ت)، ص49.

(4) زينب محمود شقير: مقياس الاغتراب النفسي (مكنوناته، مظاهره)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص04.

ذاته الغير حقيقية والمزيفة بفعل الضغوطات الاجتماعية فلا بتماثل مع معايير مجتمعه بل بأتي بنواميس جديدة تطرحها ذاته الشاذة.

كما يرى "فروم" بأن الاغتراب عن الآخرين هو " الشرط الضروري لأكثر العلاقات الإنسانية ثراء كالحب الذي يفترض اغترابًا مسبقًا»[1].

(1) محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004، ص59.

ثانيًا: مواضيع الحنين والاغتراب:

1) مواضيع الحنين:

لقد تعددت مواضيع وموضوعات الحنين لتشمل حيزًا كبيرًا، ونطاقًا واسعًا انطلاقًا من الحنين إلى الأوطان والحنين للأهل والحنين إلى الذكريات الماضية والجميلة، وكل ما يتعلق بالماضي نهاية إلى الحنين الديني، لذلك فمواضيع الحنين كثيرة ويمكننا أن نوجزها فيما يلي:

1-1) الحنين إلى الوطن:

ومن أهم الشعراء الذين أبدعت قرائحهم الشعرية في الحنين للأوطان نذكر: "ابن سعيد" أحد شعراء "تنقل" بين العديد من مدن المغرب والمشرق وجاء حنينه صادقًا ومعبرًا في قوله:

هذه مصر فأين المغرب من نأى عني فعيني تسكب

فارقتـــه النفس جهلا إنما يعرف الشيء إذا ما يذهب[1]

وشعراء الحنين إلى الأوطان كثيرون اعترتهم مرارة الغربة والحرمان عن الأوطان، فجادت قرائحهم بشتى أنواع الحنين ومنهم نذكر: "ابن الجنان" و"امرؤ القيس" و"عنترة" و"عمر بن أبي ربيعة" و"جميل بن معمر العذري" و""حاتم الطائي" وخالد بن نضلة"، ومن شعراء الأندلس أيضًا "أبو البقاء الرندي" و"حازم القرطاجني"، وغيرهم وما أكثرهم في الشعر العربي الحديث والمعاصر

1-2) الحنين إلى الأهل والأقارب:

الحنين إلى الأهل والأقارب أيضًا يعتبر من المواضيع التي ألهمت الشعراء سواءًا في غربتهم أو حتى في أوطانهم، وهذا ما مثله العديد من الشعراء في أشعار الحنين إلى

(1) محمد أحمد دقالي: مرجع سبق ذكره، ص241

المحبوب أو الحبيبة، والتي مثلت نتاجًا ومواضيع كان غرضها التغزل لكن محتواها هو الحنين.

ومن الحنين إلى المحبوبة مثلاً ما نجده في شعر أبي البقاء الرندي في قصيدة، حيث يخاطب المحبوب، ويضفي عليه صفات السارق الذي سلب قلبه وعقله بنظرته فأصبح يكابد الشوق والحنين حتى لم يبق ذلك الحب ما يطيق فراقه ويتحمل أشجانه ولوعته يقول:

يا سالب القلب مني عندما رمقا لم يُبقِ حبك لي صبرًا ولا رمقا

لا تسأل اليوم عما كابد ت كبدي ليت الفراق وليت الحب ما خلقا

ما باختياري دقت الحب ثانية وإنما جاءت الأقدار فاتفقـــــا

وكنت في كلفي الدّاعي إلى تلفي مثل الفراش أحبَّ النار فاحترقا[1]

فالحنين إلى المعشوقة أو المحبوبة كما تسمى قد انعكس على أفكار وأشعار الشاعر، فعبّر بصدق عن شوقه وحنينه وقام يتغزّل بمعشوقته.

1-3) الحنين إلى الذكريات الماضية:

وهي من المواضيع التي نالت حظًا وافرًا ومكانةً مرموقة لدى شعراء العصر القديم خاصة شعراء العصر الحديث بصفة عامة، والتي تمثلت خصوصًا في الحنين إل مسقط الرأس أو الديار وأيام النشأة، والحنين إلى ليالي الأنس ولذة العيش، والحنين إلى عصر الشباب وفقده، وهذا ما نلحظه في قول الشاعر "ابن الأيار":

هل تُرجَعُ الأيام عصر شبيبة مازلت فيها بالحسان أشيب[2]

ويقول شاعر أخر، وهو "أبا ربيع الكلاعي":

ويا ويح فؤادي أو فؤادي كُلَّما تزيد شبابي كيف بعد يكـــــون[1]

(1) محمد رضوان الداية: أبو البقاء الرندي "شاعر رثاء الأندلس"، ص69.

(2) محمد أحمد دقالي: مرجع سبق ذكره، ص334.

1-4) الحنين الديني:

ويعتبر من أرقي مواضيع شعر الحنين والتي تجلت أغلب مواضيعها في الحنين إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والحنين إلى دار المقدس وإلى الديار الحجازية ومكة وغيرها، ومن الشعراء الذين ظهر الشوق والحنين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في شعرهم نجد "أبي زيد الفازازي" وقصيدته النونية التي تعتبر بمثابة رسالة أرسلها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، تظهر شعوره بالحزن من خلال تخلفه في زيارة قبره الشريف منها قوله:

يا سيد الرسل المكين مكانه ومقدم وهو الأخير زمانه

ناداك عبد أخرته ذنوبه والشوق تلفح قلبه نيرانه[2]

فكرة ذنوب الشاعر جعلته يحنُّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويتمنى زيارة قبره والترحم عليه.

لا يمكننا الجزم بأن مواضيع الحنين محدودة، لكنها تطال كل زمان وكل مكان وتختلف باختلاف الأزمنة واختلاف المواضيع التي توضع فيها.

2) مواضيع الاغتراب:

لقد تعددت موضوعات الاغتراب واختلفت في مواضيعها لكنها في تجلياتها كانت تلمح بصفة أساسية إلى الغربة أو الألم " أو الاغتراب الداخلي الناتج عن عوامل نفسية داخلية، والاغتراب الخارجي الناجم عن ثقل الواقع الاجتماعي والسياسي»[3].

(1) المرجع نفسه، ص336.

(2) محمد أحمد دقالي: مرجع سبق ذكره، 348.

(3) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص113.

2-1) الاغتراب المكاني:

« أصبح ينظر إلى المكان غلى انه عنصر شكلي وتشكلي من عناصر العمل الفني، وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكل بعدًا جماليًا من عناصر العمل الفني»[1].

فالمكان بوصفه حيزًا هامًا في العملية الإبداعية فهو يلعب دورًا هامًا في تكوين هوية الكيان الجماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية، وأصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتصب، وإذا ما حرمت من الجماعة، فالظواهر الاجتماعية والسياسية والأدبية هي التي أفرزت السياقات وهيئة الظروف للانخراط في الدائرة الاغترابية للشعراء[2].

ويعتبر الاغتراب المكاني من المواضيع التي يكون لها صدًا كبيرًا في قصائد الشعراء، بحيث تتدرج غياهب الغربة والعذاب الذي خيم على حياتهم وتصب في نهل واحد هو بعدهم أو مفارقتهم.

يقول في هذا "إيليا أبو ماضي":

تحن إلى بلاد الشام نفسي أقطر الشام حيـــاك الغمام

وما غير الشام وساكنيه لبانتنا وإنّ بعد الشام

ولولا أنّ في مصر مقامي لعمر أبيك ما طال المقام

وما مصر التي ملكت فؤادي ولكن أهلها قوم كرام[3]

فالحنين هنا يحيل الشاعر إلى التعبير عن مدى شوقه لبعده واغترابه من بلاد الشام، وعلى الرغم من وجوده في مصر محسن الضيافة فيها، إلاّ أنّ كيانه بالشام كلها.

(1) أحمد ظاهر حسين، وأحمد غنيم، وحازم شحاتة: جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ص03.

(2) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص132.

(3) إيليا أبو ماضي: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص629.

2-2) الاغتراب الزمني:

يعتبر الاغتراب الزماني من أقسى مظاهر الاغتراب التي قد يمر بها الشاعر، فقد يصوره في لحظات بأنه جميل ودائم، وفي لحظات أخرى قد يكون موحشًا ومظلمًا وحزينًا وزائلاً.

يقول "إيليا أبو ماضي" في هذا الصدد:

يا ليتما خلق الزمان أصيلا إني أراه كالشباب جميلا

ولى، فودعت السماء بهاءها من بعده هوى النهار عليلا

جنحت ذكاء إلى الغروب كأنما تبغي رقادًا أو تريد مقيلا[1]

فالشاعر هنا يتذمر بشدة من الزمن ويتمنى لو أنه كان دائمًا وأصيلاً ويتمنى أن يغدو كالشباب جميلاً.

يقول "إبراهيم ناجي" أيضًا في الحالة الاغترابية الزمانية:

لا تقل لي فـــي غد موعدنا فالغد الموعود ناء كالنجوم!

أغد قلت؟ فعلمني اصطبرا ليتني أختصر العمر اختصارا[2]

فالمقطع يشكل حالة تدل على التعاسة وتعبر على لحظات يائسة ولا وجود للخلاص، فالغد لم يعد يذكر، بل إنّه ناءٍ كالنجوم عندما تأفل.

ونجد أيضًا الشاعر التونسي "أبي القاسم الشابي" أيضًا كان يعيش العديد من اللحظات الاغترابية الزمانية من أجل الابتعاد عن المحن التي كانت تصيبه، إذ يقول:

أيها الدهر! أيها الزمن الجاري إلى غير وجهة وقرارا

أيها الكون! أيها الفلك الدوار بالفجر، والدجى، والنهارا

(1) إيليا أبو ماضي: الديوان، ص563.

(2) إبراهيم ناجي: الديوان، دار العودة، بيروت، 1980، (د.ط)، ص60.

أيها الموت! أيها القدر الأعمى! قفوا حيث أنتم! أو فسيروا

ودعونا هنا تغنى لنا الأحلام والحب، والوجود الكبير[1]

إن الشاعر هنا يفجر صدق عاطفته ويحاول كسر ذلك الاغتراب الزماني الذي مثله في الموت أو القدر ويحاول تخطيه بمعانقته وتمسكه بالحياة.

2-3) الاغتراب العاطفي:

يتجلى هذا النوع في عدة موضوعات منها الحب والغرام والهوى والشوق والحنين والذكرى والوداع، وكل ما له صلة بالعواطف الجياشة التي تختلج النفس في لحظات ضعفها وقوتها، وقد وجد الشعراء في هذه المواضيع متنفسًا وملتجأً يذهبون إليه ويتغنون فيه، فاكتشفوا أنفسهم ودواتهم بشكل وصورة جديدة نجد من هؤلاء الشعراء مثلاً

"إيليا أبو ماضي" يقول في هذا الصدد:

كنت قبل الحب أسرى في ظلام ولا ألق لنفسي مخرجا

فجلاه الحب عني فانجلـــــى مثلمًا تجلو سنا الشمس الدجى

بات قلبي بالأماني مفعمـــا وهو قبلاً كان منهـــــا مقفرا

روتني بالنوى بعد اللقاء وكذا الدنيا دنو وافتـــــــراق[2]

كما نجد أيضًا "إبراهيم ناجي" وهو يهبر عن الحب ويصفه بأنه متنفس من الضيق والضعف:

يا فؤادي رحم الله الهوى كان صرحًا من خيال فهوى

اسقني واشرب على أطلاله وارو عني طالما الدمع روى

(1) أبي القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص404.

(2) إيليا أبو ماضي: مرجع سبق ذكره، ص723.

كيف ذاك الحب أمسى خبرًا وحديثًا من أحاديث الجوى[1]

أما "الشابي" فالحب عنده فضاء مشرق ومفعم بالعواطف الجياشة، يقول:

بذر الحب بذرة في فؤادي فأورقا

بلحاظ نوافت فجني حظى الشقـــــا

وسعى فيه مهره عاديًا، ثم أعنقا[2]

إن الاغتراب العاطفي يجعل من نفس الشاعر ومخيلته ميداناً رحبًا، وشعاع أملٍ، فيصور بذلك أرقي درجات من العاطفة الحقيقية.

2-4) **الاغتراب الاجتماعي** (So cial isolation):

يراد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره، وغالبًا ما يستخدم هذا المصطلح عند الحديث عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف، الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع، وهؤلاء الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع[3].

ونجد العديد من الشعراء الذين عانوا اغترابًا اجتماعيًا وتهميشًا واقصاءًا واحتقارًا، لذلك راحوا يوجهون ثقل هذا الشعور في التعبير عنه في قصائدهم.

يقول "إيليا أبو ماضي":

(1) إبراهيم ناجي: مرجع سبق ذكره، ص132.

(2) أبي القاسم الشابي، الديوان، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص49.

(3) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص19.

أجديد أم قديم أنـــــــــــــــا فـــــــي هذا الوجـــــــــــــــود

هل أنـــــــــا حر طليق أم أسير فـــــــــي قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكن...

(لست أدري !)[1]

ونجد العديد من الشعراء الذين عانوا الاغتراب الاجتماعي "أبي القاسم الشابي"، حيث يقول:

ليتني كنت كالشتاء، أغشى كل ما أدبل الخريف بقرسي!

ليت لي قوة العواصف، يا شعبي فألقى إليك قوة نفسي!

ليت لي قوة الأعاصير، إن ضجت فأدعوك للحياة بنسبي![2]

2-5) **الاغتراب عن الذات** (Self étrangement):

« ويراد به عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله، ويكون سلبيًا عندما يستسلم لأفعاله ونتائجها، ويشعر أن لا معنى لحياته كما يشعر باغتراب عن ذاته.

وينظر إلى الاغتراب عن الذات باعتباره اضطراب نفسيًا يتمثل في اضطراب الشخصية الفصامية، ويتسم الشخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين أو الرقة مع الآخرين، فهناك تشابه بين اغتراب الذات

(1) إيليا أبو ماضي: مرجع سبق ذكره، ص191.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص192.

واضطراب الشخصية الفصامية في أنهما يشيران إلى صعوبة استمرارية العلاقة الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع»[1].

على اختلاف مواضيع الاغتراب إلا أنّه يحاكي معاناة الشعراء سواءًا كانت معاناة خارج أوطانهم أو داخلها والتي تكون من أقسى أنواع الاغتراب.

3) الحنين والاغتراب في الشعر العربي:

1) الحنين والاغتراب في الشعر العربي القديم:

لقد نال هذا النوع من الشعر مكانةً هامةً، وحظًا كبيرًا في قصائد الشعراء القدامى واهتمامهم؛ بل صار ملاذًا لدي الكثيرين، فراح كل الشعراء يتغنى بوطنه وحنينه وشوقه لأرضه ومسقط رأسه، ويتحسر على فقدانه لوطنه أو لفراق أحباته، وقد امتد هذا الشوق والحنين من العصر الجاهلي إلى العصور التي تليه.

1-1) الحنين والاغتراب في الجاهلية:

« حين يغترب الجاهلي أو يبعد عن أهله وديارِه ويحن إليها ويتغنى بالشوق إليها، يبدأ قصائده بذكرها»[2].

ومن بين الشعراء الذين خيم عليهم هذا الحنين والشعور بالاغتراب والشوق "أوس بن حجر" وذلك في قوله:

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها وأحر إذا حالت بأن أتحوّلا

وأستبدل الأمر القوي بغيره إذا عقد مأفونِ الرجال تحلّلا[3]

كما نجد "الأعشى" يقول:

ومن يغترب عن قومه لا تجد له على من له رهط حواليه مغضبا

(1) يحي الجيوري: مرجع سبق ذكره، ص19- 20.

(2) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص20.

(3) أوس بن حجر: الديوان، دار الأرقام، بيروت، ط1، 1996، ص96.

وتحطم بظلم لا يزال يرى له مصارع مظلوم هجرا ومسحبـــــا

وتذقن منه الصالحات وإن يسئ يكن ما أساء النار في رأس كبكبا[1]

وهكذا يعبر الشعراء الجاهلية عن مدى شوقهم وعن مدى حنينهم إزاء تغربهم عن قبائلهم وأهلهم، ويزداد هذا الشعور كلما سكنوا قرية جديدة أو مدينة، فتنهال عليهم ذكريات لا مثيل لها.

1-2) الحنين والاغتراب في التراث الإسلامي:

عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم الغربة وهو يتحمل أذى قومه من قريش، وعاش الغربة في مُقامه بمكة وعند هجرته إلى المدينة متخفيًا مع "أبي بكر الصديق"، وكان المسلمون الأوائل غرباء بين أهليهم يتحملون الأذى وهم صابرون، واضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة[2]، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنّا الله﴾[3].

وبهذا فقد امتدت أمواج شعر الحنين والشوق والاغتراب عن الديار والأوطان إلى تراثنا الإسلامي العريق، وحتى وإن كانت ضئيلة إلا أنها كانت موجودة حقيقة، وما تحمل الأذى الذي لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من المشركين إلاّ دليلاً على تغربه في أهل مدينته.

1-3) الحنين والاغتراب في العصر الأموي:

لقد كثر هذا النوع الشعري في العصر الأموي وظهرت بوادره في قصائد الشعراء وكثر الشعر الذي يذكر الغربة والاغتراب والحنين إلى الأهل والأوطان، وقلما نجد شاعرًا يخلو ديوانه من ذكر الغربة والشكوى من النأي والبعد والشوق إلى الحبيبة والأهلين[4].

(1) الأعشي: الديوان، تح: محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1983، ص163.

(2) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص138.

(3) سورة الحج: الآية/40.

(4) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص53.

1-3-1) غربة الموت:

وهي أشد أنواع الغربة وأشد ما يقاسي المرء في غربته، خاصة إذا مات الإنسان وحيدًا ولم يجد ولدًا يبكيه، فغربة الموت أشد قسوة.

يقول "أبو الطمحان القيني (ت30ه):

ألا عللا في قبل نوح النوائح وقبل ارتقاء النفس بين الجوانح

وبعد غد يا لهف نفسي على غد إذا راح أصحابي ولست برائــح

إذا راح أصحابي تفيض عيونهم وغودرتُ في لحدٍ عليّ صفائحي[1]

2-3-1) المرأة واغتراب الرجل:

يشتد حنين المرأة كلما تغرب زوجها عنها، وخاصةً إذا طال اغترابة وغيابه عن داره لمدة طويلة، فتشفق المرأة وتتحسر على فراق زوجها وحبيبها، يقول في هذا الصدد الشاعر "طريح إسماعيل الثقفي":

تقول والعيش قد شُدت بأرحلها ألحقَّ أنّك منّا اليوم منطلق؟

قلت: نعم فاكظمي قالت وما جلدي ولا أظنُّ اجتماعًا حين نفترق

فقلت: إن أحي لا أطول بعادكم وكيف والقلب رهن عندكم غَلَقُ[2]

4-1) الحنين والاغتراب في العصر العباسي:

إذا قارنا بين العصر السابقة والعصر العباسي، فسنجد بأنّ شعر الحنين والاغتراب قد كان قليلاً، وذلك بسبب انتشار الحضارات واختلاف الثقافات وظهور أنواع جديدة للشعر وكذا انتشار المدن، ولهذا فقد كانت صور هذا الشعر جد قليلة، نذكر منها حنين وتغرب "أبو تمام" (231ه) في قوله:

(1) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص58.

(2) المرجع نفسه، ص60.

مـــــا اليوم أول توديع ولا الثاني البينُ أكثر من شوقي وأحزاني

دع الفراق فـــإنّ الدهر ساعده فصار أملك من روحي بجثماني

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالدّقتين وبالفسطاط إخواني[1]

2) الحنين والاغتراب في الشعر الحديث:

لقد زخر الشعر العربي الحديث وخاصة شعر الحنين إلى البلدان، وأكثر هذا الحنين كان في "بغداد" التي تغنى بها العديد من الشعراء وهللوا لها كثيرًا، عبرت قرائحهم أجود أنواع الشعر في غربتهم عنها، وعلى الرغم من أنّ الحنين إلى بغداد كان قديمًا، إلاّ أنه وفي العصر الحديث ازداد الشوق والوله إليها.

ومن الشعراء الذين جادت قريحته في غربته عن وطنه بغداد نجد الشاعر "عبد الغني الرصافي البغدادي" (ت1364ه/ 1945م) الذي أبدع في قوله الأتي:

لعمرك أقصاني الزمان المفرق فهل أنا من بعد التشاؤم معرق

خليلي هل من الرّصافة عالم بأنى إلى من بالرصافة شيق

بلادٌ إذا ما هبت الريح نحوها تمنيت لو أنّي بها أتعلق[2]

فهذا الشاعر العراقي الكبير والذي عانى من لوعة الغربة وحرقتها والحنين إلى الحياة الرغيدة "الصافي النجفي" في قوله:

أنا في الشام أحس غربة أوجه ماذا أقول إذا رجعت لداري

ويتم الرجوع لموطن منه اختفى ما فيه من دار ومن ديار[3]

فالنجفي يصور حالة الغربة الموحشة التي يجدها في بعد موطنه.

(1) أبو تمام: الديوان، شر: الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، ص02.

(2) يحي الجيوري: مرجع سبق ذكره، ص225.

(3) المرجع نفسه، ص228.

ومن الشعراء الذين ولعوا في حبهم لبغداد وتذكيرهم بأمجادها وما حفلت به على مر الأزمنة نجد أمير الشعراء "أحمد شوقي"(ت 1351ه/1932م)، إذ نجده يقول:

دع عنك "روما" و"آثينا" وما حوتا كل اليواقيت في بغداد والتّـــــؤمِ

دار الشرائع "روما" كلما ذكرت "دار السلام" لها ألقت يد السّلَمِ

ما ضارعتها بيانًا عند ملتأم ولا حكتها قضاءً عند مختصم[1]

فأحمد شوقي يفتخر ببغداد ويميزها عن غيرها من بلدان العالم كافة.

أما الشاعر المبدع المثقل كاهنه بالحنين والشوق إلى أرض الحب بغداد الشاعر "نزار قباني" فيقول:

مدي بساطك واملیء أكوابي وانسي العتاب فقد نسيت عتابي

عيناك " يا بغداد" منذ طفولتي شمسان نائمتان في أهدابـــــي

لا تتكري وجهي فأنت حبيبتي وورود مائدتي وكأس شرابي[2]

فالشاعر هنا يتغزل بوطنه شوقًا وحنينًا إليه ويتأسف لعدم قدرته على زيارته ويشعر بثقل وتغرب شديد.

إن كل ما قيل من شعرٍ في الحنين والشوق والتغرب والبعد عن الديار والأوطان والأهل والأصدقاء والأحبة فلم يقتصر على زمن واحد أو مكان واحد أو عصر واحد، وإنما كان كالنهر الطويل امتد على طول العصور والأزمنة التي وجدت، فلم يخل من زمن أو عصر من هذا الطابع الشيق وهذا النوع الفريد من الشعر.

(1) أحمد شوقي: الشوقيات، المكتبة التجارية بمصر، مصر، (د.ت)، ص205ـ 206.

(2) يحي الجبوري: مرجع سبق ذكره، ص240.

الفصل الثاني

مقدمـــــــة

- **قصيدة "النبي المجهول":**

أيها الشعب ليتني كنت حطابا فأهوي على الجذوع بفأسي

ليتني كنت كالسيول، إذا سالت تهد القبور : رمسا برمس

ليني كنت كالرياح، فأطوي كل ما يخنق الزهور بنحس

ليتني كنت كالشتـــاء، أغشي كل ما أدبل الخريف بقرســـــي!

ليت لي قوة العواصف، يا شعبي فألقي إليــك ثــورة نفسي !

ليت لي قوة الأعاصير، إن ضجت فأدعوك للحياة بنبسي !

أنت روح غبية، تكر النور، وتقضي الظهور في ليل ملس

أنت لا تدرك الحقائق إن طافت حواليك دون مسٍّ وجس...

في صباح الحياة ضمّخت أكوابي وأترعتها بخمرة نفســي...

ثم قدمتها إليك، فأهرقت رحيقي، ودست يا شعب كأسي!

فتــألمت...، ثم أسكت آلامي، وكفكفت من شعوري وحسّي

ثم نَضَّدت من أزاهير قلبــي باقــةً لم يمسها أيُ إنسي...

ثم قدمتهـــا إليك، فمزّقت ورودي، ودستــا أيَّ دوس

لم ألبستني من الحزن ثوبًــا وبشكوك الجبال توجت رأسي

***

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي لأقضي الحياة، وحدي، بيـــأس

إنني ذاهب إلى الغاب، عليّ في صميم الغابات أدفن بؤسي

ثم أنساك ما استطعت، فما أنت بأهــل لخمرتـــــي ولكــأسي

سوف أتلو على الطيور أناشيدي، وأفضي لها بأشواق نفسي
فهي تدري معنى الحياة، وتدري أن مجد النفوس يقظة حس
ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل وألقي إلى الوجود بيأسي
ثم تحت الصنوبر، الناضر، الحلو، تخط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلغو على قبري ويشدو النسيم فوقي بهمس
وتظل الفصول تمشي حوالّي، كما كن في غضارة أمسي
أتت في الكون قوة، لم تسسها فكرة عبقرية، ذات بأس
أتت في الكون قوة، كبلتها ظلمات العصور، من أمس أمس...
والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي في حساسيتي، ورقةِ نفسي

***

هكذا قال شاعرٌ، ناول الناس رحيق الحياة في خير كأس
فأشاحوا عنها، ومرّوا غضابا واستخفوا به، وقالوا بيأس:
"قد أضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه، أصيب بمسّ"
"طالما خاطب العواطف في الليل وناجى الأموات في غير رمس"
"طالما رافق الظلام إلى الغاب ونادى الأرواح من كل جنس"
"طالما حدث الشياطين في الوادي، وغنّى مع الرياح بجرس"
"إنه ساحر، تعلمه السحر الشياطين، كلَّ مطلع شمس"
"فابعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل إنّ الخبيث منبعُ رجس"
"أطردوه، ولا تصيخوا إليه فهو روح شريرة، ذات نحس"

***

هكذا قال شـــاعر، فيلسوف، عاش في شعبه الغبي بتعس

جعل الناس روحه، وأغانيها فساموا شعوره سوم بخس

فهو فـــي مذهب الحياة نبي وهو في شعبه مصابٌ بمـــس

وبعيدًا هناك.. فـــي معبد الغاب الذي لا يظله أي بؤس

في ظلال الصنوبر الحلو، والزيتون يقضي الحياة: حرسً بحـــرس

في الصباح الجميل، يشدو مع الطير، ويمشي فـــي نشـــوة المتحسي

نافخا نايـــه، حواليـــــه، تهتز ورود الربيع من كل فنس

شعره مرسل، تداعبه الريـــح على منكبيه مثل الـــدمقس

والطيور الطراب تشدو حواليـــه وتلغو في الروح، من كل جنس

وتراه عند الأصيل، لدى الجدول، يـــرنو للطائر المتحســـــــي

أو يغني بين الصنوبر، أو يرنو إلى سدفـــة الظلام الممسي

فإذا أقبل الظـــلام، وأمست ظلمات الوجود في الأرض تغسي

كان في كوخه الجميل، مقيما يسأل الكون في خشوع وهمس

عن مصب الحياة، أين مداه؟ وصميم الوجود، أيان يرسي؟

وأريـــج الورود في كل وادِ ونشيد الطـــيور، حين تمسي

وهزيـــم الرياح، في كل فج ورسوم الحياة من أمس أمس

وأغاني الرعاة أين يواريهـــا سكون الفضا، وأيّـــان تمسي؟؟

هكذا يصرف الحياة، ويفنـــي حلقات السنين: حرسا بحرس

يا لها من معيشة في صميم الغاب تضحي بين الطيور وتمسي!

يا لها من معيشة، لم تدنسها نفوس الورى بخبث ورجس

يا لها من معيشة، هي في الكون حياة غريبـــــة، ذات قدس

أولا: الاغتراب بين الذات والأخر:

المعروف عن "الشابي"، أنه من الشعراء المقدمين على الحياة، فقد رفع عبر مسيرته الفنية شعارات المقاومة، والكفاح من أجل التحرر، وفي بعض تضاعيف مسيرته، كانت تشوبها لحظات حياة مغايرة للحماسة وللصدامية، فكان الغزل يتجلى في كثير من مشاهده الشعرية، حيث كان يلين عاطفيًا، أو بعبارة أخرى كان يلبس استراحة المحارب، وفي مشاهد أخرى كان يعيش حالات اغترابية مكانيةً وزمانيةً لتجاوز الشعور بالمحنة والواقع المر، حيث الاستعمار بأشكاله البشعة الذي أفرز الفقر والحرب والمرض والموت بكل ألوانه.

وأعتقد أنَّ "الشابي" في كل هذه الانحناءات كان يعمل على تعبئة طاقته الإبداعية لمواصلة مسار التحدي والمقاومة[1].

يتخذ البحث الذي بين أيدينا من قصيدة "النبي المجهول" لأبي القاسم مجالاً واسعًا للقراءة والتأويل، لتحديد مظاهر الاغتراب عن الذات والاغتراب عن الأخر والتي صورها الشاعر أحسن صورة في حالته الشعورية الاغترابية التي عبر عنها بدلالات كشفت عن الحالة التي يمر بها الشاعر.

إنّ المتأمل في عنوان القصيدة "النبي المجهول" فلا بد أن يستشعر بمدى تطابقها مع عنوان المذكرة، "الحنين والاغتراب"، فاللفظان من حيث الدلالات يرمزان إلى تغرب نفسي وحنين اجتماعي وعاطفي، مثلها الشاعر أحسن تمثيل في أبيات قصيدته، فكل بيت في أبيات القصيدة التي بين أيدينا ينبض بعاطفة وحنين وولع، ويعبر في الوقت ذاته عن تغرب وانزياح وميول وابتعاد عن الذات وعن النفس، فالنبي المجهول هو ذلك الإنسان الذي ترفضه الجماعة، أو يرفضه المجتمع، ويرفض أفكاره وميوله، وهذا المجتمع في نظر الشاعر، هو مجتمع مريض في فكره، لذلك يأمل أن تتبدل أفكاره الهجينة وتصبح أفضل مما هي عليه.

(1) ينظر: محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص107.

1) الاغتراب عن الذات:

لقد واجه "أبي القاسم الشابي" أقسى أنواع الاغتراب وأكثرها ألمًا وبؤسًا، لذلك فقد صور لنا حالته النفسية في أبيات القصيدة ومثلها بأحسن حلة عن كل ما كان يصيبه داخل مجتمعه وعن المعاناة التي كان يتكبدها لوحده في صمت ووحدة لا مثيل لها، إذ نجد في مطلع القصيدة في قوله: "أيها الشعب" فهذه صرخة أكثر مما هي دعوة لشعبه، صرخة حملت في طياتها كل أنواع التغرب، والضجع، والحرمان، ثم يواصل الشاعر في قصيدته والتي يستهلها بالتمني أو الرجاء والأمل في تغيير الأحوال للأحسن، وهذا ما نلحظه في قوله: "ليتني كنت"، فهو هنا يصور أجمل معاني الصدق بتمنيه أن تكون أحوال شعبه أحسن مما هي عليه، ويواصل أمنياته بأن يكون حطابًا فيجتث الفساد من جذوره، أو أن يكون سيلاً فيجرف كل زبل في طريقه، أو أن يكون كالرياح التي تعصف بكل ما تلقاه في طريقها، وهكذا يواصل الشاعر تمنياته من مطلع القصيدة وحتى البيت السابع.

لاشك في أن الغربة قد فرضت نفسها على شاعرنا فرضًا، وإلاّ فإنّ حبه لأبناء شعبه لم يكن يدانيه حب، ورغبته في النهوض بهم كانت أكيدت، وإنما فرضها عليه ذلك الصدع الذي فصل بين رؤيتهم ورؤيته، وبين منهجهم ومنهجه، فصاروا لا يتجاوبون معه، ولا يدركون مداميه البعيدة، وإذا كانت هذه الغربة مفروضة عليه كان من الطبيعي أن تورثه الشقاء[1].

وقد عبر الشاعر عن غربته النفسية والروحية والوجدانية بصدق وعاطفة جياشة تمثلت في غربة "الأنا"، كما هي معروفة بالتغرب عن الذات وسط المجتمع الذي لا يدرك حقيقة ما كان يطمع إليه الشاعر.

في صباح الحياة ضمّخت أكوابي وأترعتها بخمرة نفسي...

ثم قدمتها إليك، فأهرقت رحيقي، ودست يا شعب كأسي!

(1) ينظر: هاني الخير: أبو القاسم الشابي "شاعر الحياة والخلود"، دار فليتس للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص12.

فتـــألمت...، ثم أسكت آلامي، وكفكفت من شعوري وحسّي

ثم نَضَّدت من أزاهير قلبـــي باقـــــــــةً لم يمسها أيُ إنسي...

ثم قدمتها إليـــك، فمزّقت ورودي، ودستهـــــا أيَّ دوس

ثم ألبستني من الحزن ثوبًا وبشكوك الجبال توجت رأسي[1]

في هذه الأبيات تتضح معاناة الشاعر وآلامه وتناقضه مع مجتمعه الذي كان يرفض أفكاره وميولاته، وكان هذا الرفض يرهق الشاعر ويزيد من عذابه وآلامه، لأن شعبه لا يدرك بعد أن مصيره سيتبدل وأن الحياة لن تبقى كما هي، ويحس بوحدة وغربة اتجاه هذا الرفض الذي شبهه الشاعر بثوب الحزن في قوله:

ثم ألبستني من الحزن ثوبًـــا وبشكوك الجبال توجت رأسي [2]

كما أنَّ المتطلع لقصيدة "الشابي" لابد أن يلحظ مدى تأثره بالطبيعة وميوله إليها، وهذا يجعلنا نتساءل لماذا يرى "الشابي" في الغاب رؤية مقدسة ومكانًا منوهًا ونقيًا؟ فماذا يمثل الغاب بالنسبة إليه؟ يقول:

إنني ذاهب إلى الغاب، عليّ في صميم الغابات أدفن بؤسي

ثم أنساك ما استطعت، فما أنت بأهل لخمرتي ولكـــــأسي

سوف أتلو على الطيور أناشيدي، وأفضي لها بأشواق نفسي

فهي تدري معنى الحياة، وتدري أن مجد النفوس يقظة حس

ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل وألقـــي إلـــى الـــوجود بيأسي

ثم تحت الصنوبر، الناضر، الحلو، تخط السيـــول حفرة رمســـي

وتظل الطيور تلغو على قبري ويشدو النسيم فوقـــــي بهمس

(1)أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

(2) المصدر نفسه، ص94.

وتظـــل الفصـــول تمشي حوالّي، كما كن في غضارة أمسي

أتت في الكـــون قـــوة، لم تسسها فكرة عبقرية، ذات بأس[1]

إنَّ إجابتنا عن هذا السؤال تكمن في أبيات قصيدته انطلاقًا من قوله: "أنا ذاهب إلى الغاب" تحمل دلالات عن تغربه وانفصاله في مجتمعه وعن نفسه التي اختفت ملامحها في هذا الزخم من الحياة، لذلك يجد الشاعر من الغاب ملاذًا حرًا، وفي الطبيعة متنفسًا، فالغابة بصفة عامة والطبيعة بصفة خاصة يمثلان بوابة الخلاص، ودوحة السلام للشاعر، عن حالته التي يمر بها، وعن تغربه الذي ساهم فيه مجتمعه بصورة كبيرة، لذلك يأمل في أن يجد السكينة والوقار بعيدًا عن الفكر المتجمد والفكر الغبي على حد قول الشاعر، كما نلاحظ أن الشاعر جد متأثر بالطبيعة، وهذا ما يعكس صفاء روحه ونقاءها وصفوة أفكاره، وهذا ما نلحظه في قوله:

سوف أتلو على الطيور أناشيدي، وأفضي لها بأشواق نفسي

فهي تدري معنى الحياة، وتدري أن مجد النفوس يقظة حس[2]

فهذه أروع العواطف وأكثرها حسًا وهمسًا في الروح، على الرغم من أنها ترمي في معناها الباطني إلى التفرد والانطواء والحيرة والتوحد، إلاّ أن إيقاعها الخارجي مفعم بالحياة.

إنَّ الشاعر وعلى الرغم من تواجده في مكان سكينته ووقاره، إلاّ أنه لا يزال في صراع مع نفسه ولا يزال متغربًا عن نفسه فألفاظه حزينة منبعثة من عدم الإطمئنان، إذ نجده يكثر من الثنائيات اللفظية الحزينة كالوحدة، واليأس، والبؤس، والنسيان، والشوق، والأمس، فهذه الألفاظ لا تغادر مخيلة الشاعر، وبالرغم من موقفه الحاسم اتجاه الحياة، إلاّ أنه في كثير من العبارات يتلمح المستقبل المجيد في قوله: الحياة، النسيم، الفصول.... إلخ.

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وبهذا يرسم الشاعر ثنائية شعرية في الأمل وفقدانه، فيتحول حزنه إلى فرحة ومن فقدان الأمل إلى تلمح مستقبل أروع ما يكون، رغم الحزن النازف في طيات نفسه والغربة المكثفة التي تلازمه.

« ومن الدلالات العميقة المضادة للاغتراب الاجتماعي، دلالة الثورة التي وظفها الشاعر مرادفًا للثناء والعواصف والأعاصير، بها تتجدد الحياة وتبعث النور من جديد، فالحرية أهم معلم مرجعي في حياة الشاعر، وفي حياة الإنسانية جمعاء، وهي الإشكالية المركزية الكبرى التي تولدت منها أو تفرعت عنها كل الإشكاليات والمفاهيم المادية والمعنوية والروحية»[1].

ونلحظ هذا في مطلع القصيدة في قول الشاعر:

ليتني كنت كالشتاء، أغشي كل مـــا أذبل الخريف بقرســـي!

ليت لي قوة العواصف، يا شعبي فألقي إليـــــك ثورة نفسي![2]

« إنَّ تجربة الاغتراب بوصفها هاجسًا موضوعيًا وجهت رؤية الشاعر للكون كله ومن ثم تجلت هذه الرؤية وموضوعاتها في حديثه عن الزمن، والحنين الإنساني، والنفس وأحزانها وآلامها ومآسيها وأحلامها وذكرياتها»[3].

يقول الشاعر في هذا الصدد:

هكذا قال شاعرٌ، ناول الناس رحيق الحياة في خير كأسى

فأشاحوا عنها، ومرّوا غضابا واستخفوا به، وقالوا بيأس

قد أضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه، أصيب بمسّ

طالما خاطب العواطف في الليل وناجى الأموات في غير رمس

(1) ينظر: محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص228.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص93.

(3) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص229.

طالما رافق الظلام إلى الغاب ونادى الأرواح من كل جنس[1]

فالشاعر هنا يمر بأقسى أنواع الأحزان وأكثرها ألمًا بعدما استخف منه شعبه واتهموه بالجنون والبؤس، وأن به مسًا من الجنّ، فروح الأديب الشاعر هنا تنزف من هذا التهميش من مجتمعه الذي لا يدرك بعد حقيقة ما يعانيه المجتمع.

« وبذرة الشعر في الشاعر هي من أهم عوامل الشعور بالاغتراب لديه، فانتماؤه إلى عالم الشعر، تجعله يبتعد عن عالم الضوابط القانونية الصارمة والاهتمامات المادية للبشر، مما يجعله يبحث عن تحقيق ذاته في عالمه الخاص، بعيدًا عن المجتمع»[2].

لذلك نرى الشاعر "الشابي" في قصيدته الإبداعية يبحث عن ملجأ يخلصه من وطأة الظروف المحيطة به، فهو في أوّج اغترابه في محيطه، وهذا ما نلحظه في الأبيات التالي:

هكذا قال شاعر، فيلسوف، عاش في شعبه الغبي بتعس

جعل الناس روحه، وأغانيها فساموا شعوره سوم بخس

فهو في مذهب الحياة نبي وهــو في شعبه مصابٌ بمس

وبعيدًا هناك... في معبد الغاب الذي لا يظله أي بــؤس

في ظلال الصنوبر الحلو، والزيتون يقضي الحياة: حرسً بحــرس[3]

وبما أن "أبي القاسم الشابي" من الشعراء الذين ينتمون للمذهب الرومانسي، فنلاحظ كثرة هروبه للطبيعة، وهذا دلالة على التوجه الرومانسي، فالطبيعة رمز للصفاء والنقاء، ومكان طاهر بعيد عن الدنس، حيث الزهر، والشجر، والطير، والنهر، وكل ما يبعد الألم والحزن ويعطي للنفس نشوةً وأملاً بغد أفضل.

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص95.

(2) عبد الحميد إبراهيم: الأدب وتجربة العبث، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، 1973، ص15.

(3) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص95.

فروح الشاعر وذاته تعيش زخمًا هائلاً من التمرد بصورة قوية وواضحة، وهذا التمرد دفع بالشاعر إلى البحث عن بديل أو مجتمع يأس بنياته ويصوغ قوانينه، وأي مكان أفضل من الغاب في نظر الشاعر.

وعلى الرغم من أنَّ الشاعر لم يكن متغربًا بجسده عن وطنه ومجتمعه إلاّ أن روحه كانت تائهة تأسرها الآلام والمنازعات تارة، ثم تزورها الأحلام السعيدة تارة أخرى، تحمل في طياتها نشوة في روح الشاعر، وهذا نلاحظه في الأبيات التالية:

فهو في مذهب الحياة نبي وهو شعبه مصابٌ بمس

وتراه عند الأصيل، لدى الجدول يرنو للطائر المتحسِّـــي

أو يغني بين الصنوبر، أو يربو إلى سدفة الظلام الممسِّي[1]

ما نلاحظ أيضًا في قصيدة "الشابي" ارتكازه بصورة كبيرة وواضحة على ألفاظ الحزن واليأس، كما تكثر ألفاظ ومعاني الضياع واللاانتماء لا في الزمان ولا في المكان.

هكذا قال شـــاعر، فيلسوف، عاش في شعبه الغبي بتعس

جعل الناس روحه، وأغانيها فساموا شعوره سوم بخس[2]

إنَّ إلحاح الشاعر على هذا الإحساس تحمل باستمرار قسوة الزمن ومدى الشوق الذي يتصاعد في قلبه المتعلق بالمكان، فيبحث عن الإجابة التي تشفي غليله[3].

عن مصب الحياة، أين مداه؟ وصميم الوجود، أيَّن يرســـــــي؟[4]

فيبقى الشاعر دائم البحث عن إجابات داخل مجتمعه أملاً في أن تنطفئ الجمرة التي اشتعلت نيرانها في صدره.

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص95- 96.

(2) المصدر نفسه، ص95.

(3) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص125.

(4) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص96.

إنّ ذات الشاعر وهي تبحث في ركام الماضي عن الوجوه المضيئة تعلم أنها لم تدرك غايتها، إلا بابتعادها وتباعد المسافة بينه وبين الواقع. يقول في هذا الصدد:

هكذا يصرف الحياة، ويفتي حلقات السنين: حرسًا بحرس[1]

ثم يصور الشاعر مظهرًا جديدًا من مظاهر اغترابه الذي عبر عنه بالتضحية، فيقول:

هكذا قال شاعرٌ، ناول الناس رحيق الحياة في خير كأســـى

فأشاحوا عنها، ومرّوا غضابا واستخفوا به، وقالوا بيأس

قد أضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه، أصيب بمسّ

طالما خاطب العواطف في الليل وناجى الأموات في غير رمس

هكذا قال شاعر، فيــلسوف، عــاش في شعبه الغبي بتعس

جعل الناس روحه، وأغانيها فساموا شعوره سوم بخــس[2]

فالشاعر هنا يصف لنا تضحياته التي شبهها بمعاني الإيثار الصافية الأولى عند الأنبياء، الذين خلصت روحهم للخير والحق، ولكن قومهم رموهم بالجنون والسحر، وتعرضوا للإهانة والعذاب، ثم يصور لنا تواصله الفكري والشعري الذي تحمل مبادئه القيمة وأصالة روحه المرتبطة بعالم الطبيعة الصافي، فيقول:

وبعيدًا هناك... في معبد الغاب الذي لا يظله أي بــؤس

في ظلال الصنوبر الحلو، والزيتون يقضي الحياة حرسًـــا بحرس[3]

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص96.

(2) المصدر نفسه، ص95.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2) الاغتراب عن الآخر:

إن السؤال الذي يفرض نفسه هنا بإلحاح، هل أنَّ إحساس الشاعر بالاغتراب في واقعه الذي لا يستطيع التكيف معه هو الذي يدفعه إلى قول الشعر، أم أنَّ الشاعر كونُه شاعرًا هو الذي يدفعه إلى الاغتراب؟؛ وبمعنى أخر هل الاغتراب عند الشاعر متولد من روح الشعر النائمة فيه، أم هو متولد من تعارض الواقع مما يريده ويرغب فيه؟[1].

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال وظفها الشاعر في أبياته التالية:

أنت لا تدرك الحقائق إن طافت حواليكِ دون مسّ وحبس...

في صباح الحياة ضمخت أكوابي وأترعتها بخمرة نفســـــي...

ثم قدمتها إليك، فـــــأهرقت وحيقي، ودست يا شعبي كأسي[2]

فاغتراب الشاعر هنا ناتج عن تعارض أفكاره الجديدة مع شعبه الذي يأبى الاستيقاظ والمضي نحو الأمام، والذي يرفض التجديد الذي يطمع إليه الشاعر، ويبقي متمسكًا بظلمات الأفكار القديمة، وقد عبر عن هذا في قوله:

أيها الشعب؟ أنت طفــل صغير لاعبٌ بالتراب والليل معنس!

أنت في الكون قــوة، لم تسسها فكرة عبقرية، ذات بـــــأس

أنت في الكون قوة، كبلتهـــا ظلمات العصور، من أمس أمس..[3]

هكذا يبقى الشعب في الظلمات ويبقى مكبلاً بأفكاره القديمة البائسة على حد قول الشاعر، مكبلاً بأفكار الاستعمار الذي سيطر على العقول والأجساد.

إن الشاعر يحاصره الإحباط، حين يكتشف أنه قد فرّ من غربة إلى غربة، وأنَّ ثمة مسافات شاسعة بينه وبين الأخر[1]، فهو لا يعاني اغترابًا مع ذاته وحسب؛ بل وصلت

(1) ينظر: محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص52.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

(3) المصدر نفسه، ص94- 95.

دلالات اغترابه إلى الاغتراب المكاني، والاغتراب الزماني، والاغتراب السياسي، والاغتراب العاطفي... ، فالشاعر هنا يعيش حالة انفصام وتوحد، وحالة الازدواجية، بمعنى الحضور والغياب في الوقت نفسه، فالحضور الجسدي في الوطن والغياب عنه روحيًا، لذلك فقد عبّر لنا الشاعر "أبي القاسم الشابي" في قصيدته "النبي المجهول" عن أعظم هواجسه التي تعرض لها داخل وطنه والمتمثلة في الاغتراب بنوعيه: اغتراب نفسي واغتراب عن الآخر، التي صور فيها الشاعر روحه المتأججة غضبًا، والثائرة، والتي تبحث عن السكون وعن الصفاء، وهذا ما جعل الشاعر من خلال قصيدته أن يمزج بين معادلتين موضوعيتين بين نفسه وذاته وبين العالم الخارجي؛ أي الطبيعي، لأن حالته الاغترابية جعلته يربط بين هذين العالمين، الداخلي والخارجي.

(1) ينظر: محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص127.

ثانيا: المعجم الشعري والدلالي في قصيدة "النبي المجهول":

1) المعجم الشعري:

إن المنهج التحليلي الذي اعتمدته في تحليل ودراسة مظاهر الاغتراب وصوره ومعانيه في قصيدة "الشابي"، هي الدراسة السيميولوجية للوحدات المعجمية في القصيدة، والملاحظة لتطور معجميات القصيدة، وهدا يفترض التداخل بين مفردات معجم القصيدة والتفاعل القائم بين مدلولاتها، والعلاقات بين مفردات المعجم والتركيب، من خلال الترابط بين المحور التركيبي.

فمحاولة دراسة معجمية النص الاغترابي تهدف إلى حد الوحدات المعجمية الاغترابية في قائمة الوحدات المعجمية التصنيفية، ويجب التناسق والترابط بينها في منظومات اغترابية شعرية في مدونات مختلفة زماناً ومكاناً، والمحاولة تلك وصلت إلى تحديد صنف المعجميات الدلالية التي درست النظام الدلالي لهذه الوحدات[1].

إنّ معجمية "أبي القاسم الشابي"، أخذت مناح متعددة، بسبب استخدامه الوسائل التداولية في الشعرية المعجمية، فهي إن كانت تتحكم في سياقاتها المعجمية، فإنها كذلك أضفت عليها دلالات اجتماعية ونفسية وفكرية[2].

فالمتأمل في قصيدة "النبي المجهول" فلا بد أن يلاحظ بأن الدلالات المعجمية للشاعر مستنبطة من الطبيعة.

إن فلسفة الاغتراب في مضمون القصيدة يتجلى في وصف الأهوال والمآسي والأحزان، وقد ترجم الشاعر هذا كله في قصيدة "النبي المجهول" على شكل درامي من الأحداث والأحزان، تزامنت معه نفحات من الحركة والأمل ومن المعجميات التي أبرمها الشاعر في قصيدته نذكر:

(1) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص234.

(2) المرجع نفسه، ص280.

أ) دلالات البؤس والشقاء:

وقد تمثلت في الحزن والآسى، فقد صور الشاعر البؤس والشقاء في متضادات مثل: (الألم، الحزن، اليأس، أدفن بؤسي، ظلمة الليل، ظلمات العصور، فيا بؤسه الشقي، إنّه ساحر، روح شريرة، مصاب بمس)

وقد صورها في الأبيات التالية:

فتألمت...، ثم أسكت آلامي، وكفكفت من شعوري وحسي

ثم ألبستني من الحزن ثوبًا وبشكوك الجبال توجت رأســـي

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي لأقضي الحياة، وحدي، بيـــأس

إنني ذاهب إلى الغاب، علـــيّ في صميم الغابات أدفن بؤسي

ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل وألقي إلى الوجود بيأســـي[1]

فالشاعر هنا يجمع بين الحزن والألم والشقاء والبؤس، فهي معجميات يعيش الشاعر حالتها في ظلام وغربة، لذلك فهو يتحول إلى الطبيعة؛ أي إلى الغاب حيث يشدو الأمل والألحان العذبة والنقاء والصفاء بعيدًا عما يملأ الشاعر من المعاناة.

ب) دلالات الألم:

يبدو جليًا في قصيدة الشاعر أنه يمزج بين ألمه ويوظفه من خلال الطبيعة، فيغازلها مرة ويتقرب منها مرة أخرى، ويحاول أن يتمثل بمظاهرها، ليخفف من الألم الذي يعتريه، فمعجمياته تحوي ألفاظًا مستقاة من الطبيعة، أو من مظاهرها التي غازلها الشاعر طمعًا في اكتسابها مثل: (السيول، الرياح، الشتاء، الخريف، العواصف، الأعاصير).

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

وقد صورها الشاعر في الأبيات التالية:

ليتني كنت كالسيول، إذا سالت تهد القبور: رمسًا برمس!

ليتني كنت كالرياح، فأطـــــوي كلّ ما تخنق الزهور بنحس!

ليتني كنت كالشتاء، أغشي كلّ ما أذبل الخريف بقرسي!

ليت لي قوة العواصف، يا شعبي فألقي إليك ثورة نفسي

ليت لي قوة الأعاصير...! لكن أنت حيّ، يقضي الحياة برمس...!

ليت لي قوة الأعاصير إن ضجت فأدعوك للحياة بنسبـــــــــي![1]

لقد وظف الشاعر معجميات ألمه في صور من الطبيعة، فهي تعكس ما تحيط به، فالطبيعة رمزٌ للقوة التي يتمنى الشاعر امتلاكها، لذلك فقد مثلت الطبيعة توافقًا بين ألم الشاعر، وما يطمح إليه.

إن الشاعر يحاول أن يعوض عن ألمه وبؤسه والشقاء الذي يمر به شعبه، لذلك فهو يهرب إلى الغاب ويلجأ إليه لينفس عن همومه وآلامه ومعاناته، حيث يحصل على السكينة والوقار والراحة. ويجد في الشجر والطير والنهر ما يخفق عن مناكبه، فقد وجد في الطبيعة متنفسًا وملاذًا لتغربه، وبالحديث عن معجميات التي اعتمد عليها، فهي الطمأنينة والسكينة.

ج) دلالات السكينة والطمأنينة:

تتصادم هذه السكينة والطمأنينة في نفس الشاعر مع الغابة أو مع الطبيعة على حد قوله، فكل من (معبد الغاب، ظلال الصنوبر الحلو، الزيتون، الصباح الجميل، نشوة المتمسي تداعبه الريح، الطيور الطراب، الجدول، الطائر المتحسي، كوخه الجميل الخشوع، أريح الورود، سكون الفضا... إلخ)، هي معجميات تسهم في رسم اغتراب الشاعر أكثر من السكينة، بل ترسم له أملاً بغدٍ أفضل، وهذا ما نلحظه في الأبيات التالية:

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص93- 94.

هكذا قال، ثم سار إلى الغاب، ليحيا حياة شعر وقــدس

وبعيدًا هناك...، في معبد الغاب الذي لا يطله أيُّ بـــــــؤس

في ظلال الصنوبر الحلو، والزيتون يقضي الحياة، حرسًا بحــرس

والطيور الطراب تشدو حواليه وتلغو في الروح، من كل جنس

وأريح الورود في كل وادِ ونشيد الطيور، حين تمسي

وأغاني الرعاة أين يواريها سكون الفضا، وأيّــا تمسي؟؟[1]

لقد تحولّ ألم الشاعر وأنينه وحزنه إلى طمأنينة وسكينة يحياها في معبد الغاب، حيث تتلاشى حدة اغترابه حينما يعانق أحضان الطبيعة وتلامس نفسه وروحه الزكية وتطأ قدمه الغابة، فتلوع نفسه بالراحة والوقار.

يبدو أن الشاعر لا يشعر باللذة، إلا عندما يتعلق الأمر بالاستماع إلى المصطلحات والمعجميات التي توحي إلى: (وحدي، بيأسي، حفرة ومسي، فتألمت، أسكت آلامي، مزقت ورودي...)، فهي معجميات تدب في نفس الشاعر بالحياة، وترتاح لها نفسه، ويتلذذ بالاستماع إليها، ولا يفوتنا القول بأن هذه الظاهرة تعود إلى معاناة الشاعر وما يلاقيه من آلام واغتراب داخل وطنه ويعبر عن ذلك في قوله:

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي لأقضي الحياة، وحدي، بيأس

إنني ذاهب إلى الغاب، عليّ في صميم الغابات أدفن بؤسي

ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل، وألقي إلى الوجود بيأسي

ثم تحت الصنوبر، الناضر، الحلو، تخط السيول حفرة رمسي[2]

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص95- 96.

(2) المصدر نفسه، ص94.

لقد اهتدى "القاسم الشابي" في قصيدة "النبي المجهول" إلى الاقتباس أحياناً وتضمين قصيدته الشعرية بآيات الذكر الحكيم أحياناً أخرى، وهذا دليل على اطلاعه للقرآن الكريم وتأثره الشديد به، وقد عبر عن هذا في قوله:

ثم نضرت من أزاهير قلبي باقة لم يمسّها أيُّ إنسي[1]

فقد اقتبس من سورة مريم في قوله تعالي: ﴿ أن يكون لي غلامًا ولم يمسسني بشر﴾[2].

كما ظهرت نفسية الشاعر في حالة اغتراب اجتمعت في عدة أوصاف للموت والتي مثلها بمعجميات الحزن في المفردات التالية: (قبري، الحزن، أدفن، حفرة رمسي)، وقد عبّر عن ذلك في الأبيات التالية:

وتظل الطيور تلغو علـــــى قبري ويشدو النسيم فوقي بهمس

إنني ذاهب إلى الغاب، عليّ في صميم الغابات أدفن بؤسي[3]

كما يتميز المعجم الشعري عند الشاعر "أبي القاسم الشابي" بالأداء المتحرر الغير مرتبط بالقيود، بحيث عبّر عن كل ما يجول في خاطره ووجدانه من أحاسيس بكل انطلاقة بعيدًا عن القيود أو الخضوع، وهذا ما جعل شخصيته تبرز أكثر وأكثر في القصيدة من خلال الألفاظ: (إنني، أتلو، قدمتها)، فهو يكثر من لفظة "أنا" كدليل عن حريته المطلقة.

لقد عبّر الشاعر في قصيدته أيضًا بمعجميات الخيال والسحر والشر كما وصفه مجتمعه، لذلك فقد وظف جملة من الألفاظ الدالة عليها وهي: (ملعب الجن، أصيب

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

(2) سورة مريم: الآية/ 19 ـ 20.

(3) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

نمس، خاطب العواطف، ناجى الموت، نادى الأرواح)، فهذه المضامين تزيد من اغترابية الشاعر ونجدها في قوله:

«قد أضاع الرشاد في ملعب الجن في بؤسه، أصيـــب نمس»

«طالما خاطب العواطف في الليـــل وناجى الأموات في غير رمس»

«طالما رافق الظـــلام إلى الغاب ونادى الأرواح من كلّ جنس»[1]

إنّ هذه المعاني تحمل معجميات عن ظاهرة الدجل وعالم الجن، حيث تتقاطع هذه المعجميات مع مجتمعه ويصدق قوله بأنّ شعبه غبي لا يدري الحقائق.

ثم يزداد شقاء الشاعر وبؤسه وتظهر معاناته أكثر وأكثر، حيث عبّر عن ذلك في معجميات تحمل في ثناياها حدة ما يمر به الشاعر من تغرب داخل شعبه الذي يصفه بـــ (الساحر، الكافر، الخبيث، الروح الشريرة)، ويعبّر عن ذلك بقوله:

إنّه ساحر، تعلّمه السحر الشياطين، كل مطلع شمس

فأبعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل إنّ الخبيث منبع رجس

واطردوه، ولا تصيخوا إليه فهو روحٌ شريرة، ذات نحس[2]

ثم يعود الشاعر إلى الطبيعة ويتحدث عن صفائها وسكونها وأنها الملاذ الوحيد للسكينة والوقار، فيجمع بين معجميات الأمل والحياة ويربطها بالعزيمة في عيشة هنيئة وسوية بين أحضان الطبيعة حيث رصد هذه المعجميات في: (يا لها من معيشة، لم تدنسها، ذات قدس) وقد عبّر عنها بقوله:

يا لها من معيشة في صميم الغاب تضحي بين الطيور وتمســـــي!

يا لها من معيشة، لم تدنسها نفوس الورى بخبث ورجس

(1) المصدر نفسه، ص95.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص95.

يا لها من معيشة، هي في الكون حياة غريبـــة، ذات قدس[1]

تعد قصيدة "النبي المجهول" قصيدة اغترابية في الشكل والمضمون، وإن كانت قد اعتمدت على الوزن ، إلاّ أن الشاعر قد استعملها بأسلوب التمني والذي يمثل ثورته ومدى تأثره الشديد، وهذه الثورة النفسية التي كانت تنتشر في نفسه وروحه إنما كانت نتيجة انزياح شعبه وابتعاده عن كل ما هو جديد والتمسك بالقديم، فالشاعر يحاول أن يسحب مجتمعه من ذلك التخلف الفكري الذي خلفه الاستعمار، إلاّ أن شعبه يرفضه، بل ويعينه ويتهمه بالجنون والسحر، فيا لها من حياة يعيشها الشاعر ويا لها من معاناة ويا له من تغرب.

2) الحقول الدلالية:

لقد استقى الشاعر حقولاً دلاليةً عديدة كانت تنبع من نفسه التائهة، ومثلها أحسن تمثيل في قصيدته "النبي المجهول"، فالعنوان في حد ذاته يصب في حقل دلالي تمثل الغربة والاغتراب.

أ) الحقول الدلالية التي تمثلها الثورة:

ليتني كنت كالشتاء، أغشي كلّ ما أذبل الخريف بقرسي!

ليت لي قوة العواصف، يا شعبي فألقي إليك ثورة نفسي

ليت لي قوة الأعاصير، إن ضجت فأدعوك للحياة بنسبي![2]

فالشاعر يحاول أن يتمثل في حلة الطبيعة ليثور ويحدث زلزلة في فكر شعبه ويبعث فيه الحياة من جديد.

ب) الحقول الدلالية التي تمثل الطبيعة:

(1) المصدر نفسه، ص96.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص93.

لقد اعتمد الشاعر معادلة مفادها أنه قد قام بالربط بين أحوال نفسه الداخلية وربطها مع العالم الخارجي الذي يتمثل في الطبيعة أو الغابة، وقد عبّر عن الطبيعة الأم في حقول دلالية تتمثل فيك (السيول، الرياح، الشتاء، الخريف، الأعاصير، العواصف)، وكلها حقول دلالية تتمثل في ثورة نفس الشاعر وطغيانها على التجديد والتغيير في شتى أنحاء مجتمعه.

ج) الحقول الدلالية التي تمثل الغربة والاغتراب:

لا بد أن الشاعر لا ينفك عن الحديث عن غربته واغترابه داخل شعبه فحالته النفسية يرثى لها، وعلى الرغم من هذه المعاناة إلاّ أنّه لا يزال يطمع في غد أفضل ومدلولات الغربة تنحصر في لألفاظ التالية: (إنني ذاهب، وحدي، بيأس، أدفن بؤسي، أنساك)، وقد عبّر عنها في الأبيات التالية:

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي لأقضي الحياة، وحدي، بيأس

إنني ذاهب إلى الغاب، عليّ في صميم الغابات أدفن بؤسي[1]

د) الحقول الدلالية التي ترمز إلى الوحدة:

وفي هذه الحقول يبدو تعلق الشاعر بالطبيعة التي وظف فيها حبه وشغفه بها، وانطلق الشاعر من الطبيعة باعتبارها الملاذ الوحيد الذي يلقى فيه ملاذًا للراحة، والصفاء، والأرواح النقية ومن الألفاظ الدالة على ذلك: (يا لها من معيشة، لم تدنسها نفوس الورى، هي في الكون غريبة)، وقد عبر عنها الشاعر في قوله:

يا لها من معيشة في صميم الغاب تضحي بين الطيور وتمسي!

يا لها من معيشة، لم تدنسها نفوس الورى بخبث ورحس

يا لها من معيشة، هي في الكون حياة غريبة، ذات قدس[2]

(1) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

(2) المصدر نفسه، ص96.

هكذا يرى الشاعر في الغابة على أنها مكان مقدس لم تمسه أي رجس، ولم تفسده النفوس البشرية بعد.

ه) الحقول الدلالية الخاصة بالأمكنة:

فالقصيدة تحمل الكثير من الحقول التي تحتوي على الزمان والمكان، لأن الشاعر وظفها بصورة كبيرة في قصيدته، وذلك من خلال قوله: (الغاب، الجبال، الوادي، الجدول، كوخه، الجميل)، وقد عبّر عنها في قوله:

ثم أكبســـي من الحزن ثوبا وبشوك الجبال توجت رأسي

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي لأقضي الحياة، وحدي، بيأس[1]

و) الحقول الدلالية التي ترمز إلى الزمان:

لقد وظف الشاعر في قصيدته كل ما أتيح له من الأزمنة اليومية من: (ليل، وصبح، ومن فصول كالخريف والشتاء)، والتي عبّر عنها في قوله:

ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل وألقي الوجود بيأسي

في صباح الحياة ضمّخت أكوابي وأترعتها بخمرة نفسي

وتظل الفصول تمشي حوالّي كما كن في غضارة أمسي[2]

وهذه الحقول الدلالية إذا تعمقنا في معناها فهي ترمز إلى طول معاناة الشاعر وقدمها، فلم تقتصر على زمن واحد أو فصل؛ بل امتدت طول الأزمنة وطول الأماكن التي طالتها نفسه الحزينة الوحيدة المتألمة في غيبات هذا الكون الجاحد.

(1) المصدر نفسه، ص94.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص94.

ز) الحقول الدلالية التي ترمز إلى فلسفة الحياة:

للشاعر فلسفة حياة فريدة من نوعها، فقد تحول على حد قوله من النبي العراف، إلى النبي المجهول الذي يرى ما لا يراه الآخرين، فهو يتلمح الصفاء، ورؤية مستقبلية وبوابة للخلاص رغم الحيرة والغربة التي يعيشها، وقد عبر عنها في قوله:

هكذا قال شاعر، فيـــــلسوف، عاش في شعبـــه الغبي بتعس

جعل الناس روحه، وأغانيها فساموا شعوره ســــــــوم بخس

فهز في مذهب الحياة نبي وهو في شعبه مصابٌ بمس[1]

ح) الحقول الدلالية الخاصة بالجهل والتخلف:

إنّ القصيدة تحمل الكثير من المعاني التي تعبر عن التخلف الفكري لشعبه، وهذا بالطبع يعود بالدرجة الأولى على عدم تقبل الشعب للأفكار الجديدة ومحاربتها وطرد كل من يدعو إليها، ومن الألفاظ الدالة على هذا القول: (أصيب نمس، نادى الأرواح، حدث الشياطين، إنه ساحر، الكافر الخبيث، روح شريرة)، يقول الشاعر:

"قد ضاع الرشاد في ملعب الجن في بؤسه، أصيب نمس"

"طالما خاطب العواطف في الليل وناجى الأموات في غير رمس"

"طالما حدث الشياطين في الوادي وغنى مع الرياح نجرس"

"إنّه ساحر، تعلّمه السحر الشياطين، كل مطلع شمس"

"فأبعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل إنّ الخبيث منبع رجس"[2]

فيا لها من أفكار غبية لشعب يجهل ما يحصل له ويرفض أن ينير طريقه ويفتح أمامه الأبواب المشرقة من جديد.

(1) المصدر نفسه، ص95.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص95.

خـــاتمة

خاتمة:

إن خلاصة القول ومنتهاه يمكننا حصرها في النتائج التالية:

- يعتبر "الشابي" شاعرًا رومنتيكيًا، وهذا بسبب أفكاره وعواطفه الجياشة وهذا ما خلصنا إليه من خلال قصيدته "النبي المجهول والتي تحمل حسًا تحرريًا، وإصلاحيًا للمجتمع.

- إنّ سمو الشاعر بعواطفه وأحاسيسه إلى أرقى وأوسع درجات الفكر، دليل على الأفق الرومانسي والعاطفي، وحبه وإلهامه لكل ما يتصل بالطبيعة.

- إن استعمال أو هروب الشاعر للطبيعة يعبر عن خيبة الأمل التي يعيشها في وطنه الأم.

- تجلت الغربة والحنين على نحو وافر عند "أبي القاسم الشابي" وبلغت مدى بعيدًا في قصيدته، وتركت تيمة الغربة والحنين تطبع قصيدته في أعلى درجات الرقة والإحساس.

- إنّ اغتراب الشاعر كان في جوهره يحمل أبعادا فلسفية وجودية، ناتجة عن مكابدة الآلام التي يعيشها في مجتمعه، وناتجة أيضًا عن توحده.

- لقد كان تأثير الاغتراب والحنين واضحًا بشكل جلي في ثنايا الشاعر، حيث أثر أيما تأثير على مفردات قصيدته التي اكتسبت صبغة رومانسية تركت الشاعر يفر للطبيعة، ويعانق وحشة غربته فيها، ليجد فيها الصفاء، والأمل، والمناجاة، والحياة الجديدة على حد قوله.

- إن اغتراب الشابي عن ذاته يعد أخطر أنماط التأثير، المعين على فهمه وتفسيره، باعتباره الاغتراب حقيقة انطوائية، وهذه الحقيقة وصلت بالشاعر إلى درجة

خاتمة:

إنكار الذات، وإنكار نفسه داخل مجتمعه، وهو ما جعله يعيش غربة أبدية يتخبط فيها لفقدانه أبسط مقومات الحياة المصاحبة لفكره ووعيه.

- إن معايشة الشاعر للتجربة الاغترابية بكل معانيها العميقة، بحكم السياق الذي عاش فيه، جردت نفسه الزكية وجعلته يثور على ذاته.

- إن مرور الشاعر بضراوة الاغتراب بشتى مجالاته، جعله يلجأ إلى أقرب الأماكن صفاءًا، ليكسر ذلك الشعور.

- إن ذات الشاعر وهي تبحث في ركام البؤس عن الوجوه المضيئة، تعلم أنها سوف تدرك غايتها.

- شعور الشاعر في بعض الحالات بالوحدة، وهذا الشعور المر بالغربة، جعله يبحث وسط الغابة والعتمة عن الرفيق والصديق ليأخذ بيده ويدله على الطريق.

ملحـــــق

مولد "أبو القاسم الشابي" ونشأته:

ولد "أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي" في ربيع 1324ه/ 1906م بالشابية إحدى ضواحي مدينة توزر بالجنوب التونسي من أسرة لمعت من زمان في الحياة الدينية والثقافية والسياسية في البلاد. درس والده القاضي "محمد الشابي" بالجامع الأزهر بمصر لمدة سبع سنوات وتتلمذ على يد "محمد عبده" وتأثر بأفكاره الإصلاحية، وتأثر بواسطته بأفكار "جمال الدين الأفغاني"، وعند عودته إلى تونس تزوج والتحق بالجامعة الزيتونية التي تخرج منها سنة 1910م، وعين في السنة نفسها قاضيًا بمدينة سليانة، وبحكم مهنة والده، تنقل "أبو القاسم" مع عائلته في مناطق اختلفت فيها الطبيعة والعادات واللهجات، مما وفر له إمكانية التعرف على جل البلاد التونسية[1].

لقد لعب الجو العائلي الديني والثقافي والسياسي دورًا هامًا في حياة "أبي القاسم الشابي" الأدبية والشعرية وهذا مكنه من البلوغ الأدبي في سن جد مبكرة.

تعرض الطفل الناشئ، النحيف الجسم، المديد القامة، السريع الانفعال، لجميع أنواع المناخ في البلاد التونسية، من حرّ المدن الساحلية إلى برد الجبال المرتفعة، كما تعرض إلى الاحتكاك بمختلف العادات واللهجات بين أهل الشمال والجنوب، وبين تلك البيئات والمدن التي تنقل بها الشاعر ما يقدر بمئات الأميال أحيانًا[2].

لقد كان الترحال الدائم والطواف بالبلدان المختلفة والاحتكاك مع الثقافات والمدن على اختلاف عاداتها وتقاليدها حافزًا لنبوغ الشاعر وتمكنه.

وفي 11 من أكتوبر 1920م أرسل "أبو القاسم الشابي" من طرف عائلته إلى تونس لدراسة العلوم الدينية واللغوية بالزيتونة، وقد كان لاحتكاكه المباشر بمحيط الجامعة

(1) محمد الهادي بوطارن، مرجع سبق ذكره، ص571.

(2) أبي القاسم الشابي: ديوانه ورسائله.

وبالعاصمة دورًا حاسمًا في تكوين شخصيته، حيث وجد بتونس كثيرًا من الحرية وكثيرًا من النشاط الأدبي المفقود داخل البلاد فاستغله إلى أقصى درجة، وقد وجه عنايته إلى الدراسات الأدبية فطالع ودرس كل ما في وسعه من أمهات كتب العربية مثل: أبا العلاء المعري، ابن الفارض... إلخ[1].

وإذا كان جو الزيتونة لم يرق للشابي فلم يمنعه ذلك من تكوين ثقافة واسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي القديم في أزهى حلله، وبين روائع الأدب الحديث في البلاد العربية وفي المهجر، إضافة إلى ترجمات الآداب الأوروبية التي كان "المنفلوطي" و"العقاد" و"الصاوي" ينقلونها إلى اللغة العربية وتنشر في الصحف التونسية، وقد تركزت رغبة الشاعر بصورة خاصة، على الأدب العربي الذي نشأ في أمريكا على أيدي المهاجرين العرب، وتأثر بها تأثرًا بالغًا[2].

لقد كان هذا الاحتكاك بين التراث العربي والقديم والأدب الغربي الأوروبي بمثابة محفز لقريحة الشاعر، وتأثره البالغ بها جعله يساهم بشعره بصورة واسعة في حركات التجديد آنذاك ودعوته إلى التجديد في الأدب.

قرأ "الشابي" روائع الأدب الغربي التي وجدها مترجمة، ومن ضمنها مؤلفات "جوته" و"لامارتين"، وقد ولّدت لديه هذه المطالعة والدراسة أفكارًا إصلاحية تشمل الأدب والمجتمع، وعندما أدرك بأن مجتمع عصره يزخر تحت ثقل الأفكار الضيقة والمناهضة لكل تقدم، تمرد "الشابي"، ونادى بضرورة التحرر من العادات البالية ومن المفاهيم الدينية الشكلية ومن العبودية السياسية، ثم إنّ الإنتاج الأدبي المحلي الذي يخلو من كل قيمة فنية مطالب هو الأخر بالتجديد شكلاً ومضمونًا[3].

(1) محمد الهادي بوطارن، مرجع سبق ذكره، ص571.

(2) أبي القاسم الشابي: الديوان، ص 02.

(3) محمد الهادي بوطارن، مرجع سبق ذكره، ص572.

لقد كان الفكر التحرري بارزًا لدى الشاعر خاصة فيما يخص المفاهيم التي ترتبط بالعادات والتقاليد.

اعتنق "الشابي" النظرية المطروحة في المشرق حول ضرورة تحرير المرأة التي تكبلها منذ قرون، الشيء الذي قاده حتمًا إلى التصادم مع المحافظين ومع شيوخ الزيتونة الذين رؤوا فيه خطرًا ثوريًا، ثم تخرج من تلك الجامعة سنة 1927، ثم التحق بمدرسة الحقوق بتونس وتخرج منها سنة 1930[1].

وفاة "أبي القاسم الشابي":

دخل "الشابي" مستشفى الطليان في العاصمة التونسية في اليوم الثالث من شهر أكتوبر قبل وفاته بستة أيام ويظهر من سجل المستشفى أن "أبا القاسم الشابي" كان مصابًا بمرض القلب أو القلاب.

توفي "أبو القاسم الشابي" في المستشفى في التاسع من أكتوبر 1934 فجرًا على الساعة الرابعة من صباح يوم الإثنين الموافق لليوم الأول من رجب سنة 1353ه، ونقل جثمانه في أصيل اليوم الذي توفي فيه إلى توزر ودفن فيها، وقد نال "الشابي" بعد موته عناية كبيرة، ففي عام 1946 تألقت في تونس لجنة الإقامة ضريح له نقل إليه باحتفال جرى يوم الجمعة في السادس عشر من جماد الثانية عام 1965، ويعبر "الشابي" أجمل تعبير عن أنوار تونس والمغرب العربي[2].

وبهذا تنتهي مسيرة شاعر الخضراء وتنتهي آلام ومعاناة تكبدها الشاعر طيلة حياته "الشاعر المريض" هكذا كان يلقب، وعلى الرغم من مرضه كما يقول وعلى الرغم من الداء والأعداء، فقد كان جسرًا ومنهلاً ومدافعًا ومادحًا وسيدًا على الشعراء العرب، وهمزة

(1) محمد الهادي بوطارن: مرجع سبق ذكره، ص571.

(2) موقع أبة القاسم الشابي: فيديو وثائقي عن حياة الشاعر أبو القاسم الشابي من إنتاج قناة الجزيرة.

وصل بين الغرب والشرق، وإن غاب جسده ففكره لا يزال يُحْفَرُ في النفوس ويهز كيان السامعين كلما ألقيت قصيدة من قصائد وروائعه التي لا يسعها مديحنا أو كلامنا عليها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

Ø القرآن الكريم برواية ورش.

1- أبي القاسم الشابي، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2005.

2- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، (د.ت).

3- أبو تمام: الديوان، شر: الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1.

4- أحمد شوقي: الشوقيات، المكتبة التجارية بمصر، مصر، (د.ت).

5- أحمد ظاهر حسين، وأحمد غنيم، وحازم شحاتة: جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت).

6- أوس بن حجر: الديوان، دار الأرقام، بيروت، ط1، 1996

7- الأعشي: الديوان، تح: محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1983.

8- ابن منظور: لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي، ج3، دار إديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

9- إبراهيم ناجي: الديوان، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1980.

10- إيليا أبو ماضي: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ت).

11- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج1، 1982.

12- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية "متاهات الإنسان بين الحلم والواقع"، ط1، (د.ت).

13- خالد حامد: المدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008.

14- زينب محمود شقير: مقياس الاغتراب النفسي (مكنوناته، مظاهره)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

15- عبد الحميد إبراهيم: الأدب وتجربة العبث، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، 1973.

16- محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي القرن السابع الهجري، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008.

17- محمد بوزواوي: قاموس المصطلحات، مؤسسة الإخوة مدني، 2013.

18- محمد رضوان الداية: أبو البقاء الرندي "شاعر رثاء الأندلس".

19- محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004.

20- محمد الهادي بوطارن: الاغتراب في الشعر الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010.

21- نسرين محمود الشرادقة: الاغتراب في شعر أمجد ناصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013.

22- هاني الخير: أبو القاسم الشابي "شاعر الحياة والخلود"، دار فليتس للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1.

23- يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي "الحنين إلى الأوطان، عميد البحث العلمي، جامعة الأهلية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008.

المواقع:

1- موقع أبو القاسم الشابي: فيديو وثائقي عن حياة الشاعر أبو القاسم الشابي من إنتاج قناة الجزيرة.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

دعاء

كلمة شكر

مقدمة (أ، ب، ج، د)

الفصل الأول: الحنين والاغتراب (المفهوم والمصطلح):

أولا: مفهوم الحنين والإغتراب 06

1. مفهوم الحنين 06

1.1ـــ الحنين لغة 06

2.1ـــ الحنين اصطلاحا.....07

2. مفهوم الاغتراب 08

2.1ـــــ الاغتراب لغة 08

أ) الاغتراب في المعاجم العربية 11

ب) الاغتراب في المعاجم الغربية 11

2.2ـــــ الاغتراب اصطلاحا: 12

3. مفهوم الاغتراب عند بعض الفلاسفة 13

ثانيا: مواضيع الحنين والاغتراب 18

1. مواضيع الحنين 18

2. مواضيع الاغتراب 20

3. الحنين والاغتراب في الشعر العربي 26

أ) الحنين والاغتراب في الشعر العربي القديم 26

ب) الحنين والاغتراب في الشعر العربي الحديث 29

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في قصيدة "النبي المجهول"

ـ قصيدة "النبي المجهول: 32

أولا: الاغتراب بين الذات والأخر: 36

1. الاغتراب عن الذات: 37
2. الاغتراب عن والأخر: 43
ثانيا: المعجم الشعري والدلالي في قصيدة"النبي المجهول": 46
1. المعجم الشعري: 46
2. الحقول الدلالية 52
خاتمة: 57
ملحق: 60
قائمة المصادر والمراجع: 65